



ديوان الأسرار والرموز

شعر: محمد إقبال

ترجمة: عبد الههاب عزام

ديوان الأسرار والرموز

تأليف
محمد إقبال

ترجمة
عبد الوهاب عزام



رقم إيداع ٢٣٢٢١ / ٢٠١٣

تدمك: ٥ ٦١٨ ٧١٩ ٩٧٧ ٩٧٨

مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة

جميع الحقوق محفوظة للناشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة

المشهرة برقم ٨٨٦٢ بتاريخ ٢٦ / ٨ / ٢٠١٢

إن مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره

وإنما يعبر الكتاب عن آراء مؤلفه

٥٤ عمارات الفتح، حي السفارات، مدينة نصر ١١٤٧١، القاهرة

جمهورية مصر العربية

تليفون: ٢٠٢ ٢٢٧٠٦٣٥٢ + فاكس: ٢٠٢ ٣٥٣٦٥٨٥٣ +

البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org

الموقع الإلكتروني: http://www.hindawi.org

تصميم الغلاف: محمد التوبجي.

جميع الحقوق الخاصة بصورة وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة. جميع الحقوق الأخرى ذات الصلة بهذا العمل خاضعة للملكية العامة.

Cover Artwork and Design Copyright © 2014 Hindawi

Foundation for Education and Culture.

All other rights related to this work are in the public domain.

المحتويات

٧	مقدمة
١١	المدخل
١٥	خلاصة المقدمة التي كتبها إقبال لأسرار خودي
١٩	خلاصة مقال الشاعر إلى الأستاذ نكلسون
٢٣	أسرارُ إثبات الذات
٧٣	رُموز نفي الذات

مقدمة

١

أقدم إلى قراء اللغة العربية ديوانين من دواوين الشاعر الكبير والفيلسوف العظيم محمد إقبال — رحمه الله — هما: أسرار إثبات الذات ورموز نفي الذات. وقد قدّمتُ إليهم من قبل ديوانيّ رسالة المشرق وضرب الكليم، وكتاباً جامعاً فيه سيرة إقبال وفلسفته وشعره. وبيّنت في مقدمات هذه الكتب الثلاثة كيف اقترح عليّ أصدقاء إقبال في باكستان أن أُخرجها في لغة القرآن، وكيف أخرجتها وطبعتها في باكستان ومصر. واليوم أحدث القراء عن الأسرار والرموز. أعود إلى ذكر أحبّاء محمد إقبال الذين كانوا يجتمعون في المجالس المباركة الخالدة، في دار السفارة المصرية من مدينة كراچی، على قراءة كتب إقبال والتحدث في مذهبه وسيرته، وقد تحدثت عن هؤلاء الإخوان الكرام فيما نشرت من الكتب الإقبالية. قال الإخوان — بعد أن نشرت رسالة المشرق وضرب الكليم: اليوم يجدر بك أن تترجم المنظومتين اللتين بيّنت فيهما إقبال مذهبه، وشرح فلسفته؛ فإنّ ما ترجمت من قبل شعرتُ تظهر فيه آراء إقبال في العالم والحياة والناس، فكراً متفرقة أو درراً منثورة، وفي الأسرار والرموز فصول مرتبة يبيّن فيها الشاعر مذهبه في إثبات الذات ونفيها، وهما عماد فلسفته، وقطب شعره. وانفضّ المجلس على أن أترجم الأسرار والرموز إلى العربية، وشرعنا نقرأ المنظومتين في مجالس متتابعة. وأجد الآن في نسختي — التي قرأت فيها مع الإخوان — هذه الكلمات في أول الكتاب:

بدأنا القراءة في أول آذار (مارس) سنة ١٩٥٢.

وفي آخر الديوان الأول:

فرغنا من القراءة والساعة ست ونصف — قبيل المغرب — يوم الأربعاء ٢٦ شعبان سنة ١٣٧١هـ/ ٢١ نيسان (أبريل) سنة ١٩٥٢، وبلي هذا توقيع الإخوان.

وفي آخر الديوان الثاني:

تمت القراءة والساعة ثمان من مساء يوم الأربعاء الثامن من صفر سنة ١٣٧٢هـ/ ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٥٢ م والحمد لله رب العالمين، ثم توقيع الإخوان كذلك.

فقد استمرت القراءة ثمانية أشهر، وكان مجلسنا يجتمع كل أسبوع مرة، ولا ريب أن أسفارًا وأشغلاً عرضت فحالت دون موالاة والاجتماع، وإلا لم تستغرق القراءة هذه الشهور الثمانية.

٢

وبدأت الترجمة في شوال من السنة نفسها «تموز (يوليو) سنة ١٩٥٢»، وكنت أحسب أن ترجمة هذا الديوان «الأسرار والرموز» أيسر من ترجمة الديوانين: «رسالة المشرق» و«ضرب الكليم»؛ لأنه منظوم في بحر واحد هو الرَّمَل، على القافية المزدوجة التي تتغير فيها التقفية في كل بيت — وهي التي تسمى المثنوي في اصطلاح الأدب الفارسي — ولكن الترجمة طالت أكثر مما قدّرت؛ إذ كان الديوان نظمًا متصلًا، لا ينشط المترجم فيه نشاطه حين يترجم قصيدة من ديوان، فيرى أنه أتم عملًا فيستأنف ترجمة قصيدة أخرى، فيتمها، وهلم جرا.

واليت الترجمة على العلات، وكثرة الفترات، وكنت أؤرخ، بين حين وحين، ما بلغت من الترجمة، وأذكر المكان الذي أترجم فيه، بين السفر والحضر والبر والبحر، حتى تمت ترجمة المنظومة الأولى «أسرار خودي»، فكتبت في كراسة الترجمة:

تمت ترجمة «أسرار خودي» والساعة ثلاث ونصف بالتوقيت العربي ليلة الأحد رابع أيام التشريق سنة ١٣٧٢هـ — ٢٢ آب (أغسطس) سنة ١٩٥٣ — في مدينة كراچی.

فقد ماطلتني الترجمة سنة، وكنت ترجمت «رسالة المشرق» في نحو أربعة أشهر، وكذلك ترجمت «ضرب الكليم». ومضيت في ترجمة المنظومة الثانية حتى كتبت هذه العبارات:

يسر الله الفراغ من الترجمة على بعد الشُّقَّة، وطول المدى، واعتراض الشواغل، وكثرة الحوائل، يوم الأحد سابع عشر صفر سنة ١٣٧٤هـ — ١٤ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٥٤م — والساعة أربع وربع بعد الظهر، في دار السفارة المصرية من مدينة كراچی.

فقد شغلتنني ترجمة «الأسرار والرموز» أكثر من سنتين.

٣

وتركت باكستان بعد شهر من انتهاء الترجمة، وكان مجمع إقبال «إقبال أكاديمي» قد أخذ عليَّ العهد أن أعطيه الكتاب ليتولى نشره، بعد أن غلبه على «ديوان رسالة المشرق» مجلس إقبال في باكستان، وعلى «ضرب الكليم» جماعة النشر بالأزهر، وبلغ من حرص الصديق الدكتور اشتياق حسين قريشي — وزير المعارف ورئيس مجمع إقبال — أن ألزمني الوعد بإيثار مجمع إقبال بنشر الكتاب، أمام السيدة الجليلة فاطمة جناح أخت القائد الأعظم محمد علي جناح.

وكان مجمع إقبال، فاوض دار المعارف في القاهرة لنشر الكتاب، وسافرت من باكستان، فلم أفرغ للكتاب فتأخر نشره.

وراجعت الترجمة في الحضر والسفر، ويجدُّ المطَّلَع في كراستي عبارات تدل على أن المراجعة والتحرير كانا في الحجاز واليمن ومصر وعلى السفن في البحار.

ثم يسر الله أن أقدم بعض الكتاب لدار المعارف في شهر شباط (فبراير) الماضي فشرعْتُ في طبعه، وواليت تقديم صفحات الكتاب حتى قدمت آخره حين تم التبييض والمراجعة وقت الأصيل يوم السبت حادي عشر هذا الشهر «شهر شعبان» سنة ١٣٧٥هـ — ٢٤ آذار (مارس) ١٩٥٦م — في مدينة جدة.

فقد أمضيت ثلاث سنوات ونصف وأنا في شغل بترجمة هذا الكتاب وتحريره، ولولا صحة العزم، وعظم الرغبة ما تيسرت ترجمة هذا الديوان القيم، ولحال اليأس أو العجز دون إتمامه.

٤

لا أعرض لطريقة الترجمة، ولا أتحدث عن صعوبتها، ولا سيما ترجمة النظم بالنظم على اختلاف اللغتين في المجازات والأساليب، وعلى غرابة الموضوع، فقد أبنت عن هذه وهذه في مقدمة الديوانين: «رسالة المشرق» و«ضرب الكليم».

على أن في الترجمة جانبًا من اليسر؛ لأن معظم الاصطلاحات عربي، وأن الموضوع إسلامي على ما فيه من فلسفة.

وبعد، فإلى قراء العربية أقدم الديوانين الثالث والرابع من دواوين إقبال التي تجشمت ما تجشمت في نقلها إلى العربية حرصًا على إشاعة ما فيها من دعوة إلى الحياة والأمل والعمل، والسمو بالإنسان إلى أعلى ما قُدر للإنسان من ارتقاء ورغبة في إمداد أدبنا بهذا الضرب من الأدب الإسلامي الإنساني الرفيع.

والله ولي التوفيق.

عبد الوهاب عزام

١١ شعبان ١٣٧٥هـ / ٢٤ آذار ١٩٥٥م

المدخل

بيّنت بياناً شافياً فلسفة إقبال في كتابي «محمد إقبال، سيرته وفلسفته وشعره» وأجملت آراءه كما بيّنها في ديوان «الأسرار والرموز» فليرجع إلى الكتاب من يرغب في الاستزادة. وفي هذا المدخل نبين — في إيجاز — فلسفة إقبال وآراءه التي يستخلصها قارئ «أسرار إثبات الذات ورموز نفي الذات».

أذكر طرفاً مما ثار حول الديوان من جدال، ثم أعرض على القارئ خلاصة المقدمة التي كتبها إقبال باللغة الأردية لكتاب «الأسرار والرموز» ثم حذفها بعد الطبعة الأولى، وأعرض عليه كذلك خلاصة ما كتبه إقبال تبياناً لمذهبه حينما سأله هذا الأستاذ المستشرق الإنكليزي نكلسون مترجم الأسرار إلى اللغة الإنكليزية.

١

نشر الشاعر الفيلسوف محمد إقبال أول دواوينه الفلسفية «أسرار خودي» سنة ١٩١٥م، وهو منظومة طويلة في بحر واحد، وعلى القافية المزدوجة، مقسمة إلى فصول يوضح فيها الشاعر فلسفته في الذاتية فكرة بعد فكرة، ويصورها في صور شعرية رائعة.

ثم نشر ديوانه الثاني المتصل بهذا الديوان «رموز بي خودي» وهي كلمة فارسية تدل على الأثرة والإعجاب بالنفس، ولكن إقبالاً نقلها إلى معنى آخر جعله قاعدة فلسفته، هو تعرف الإنسان نفسه، وتقويتها، وإخراج ما أودع فيها من مواهب.

رأى الصوفية في الذاتية أمراً نكراً؛ إذ كان التصوف — بزعمهم — يقصد إلى إنزال النفس وإماتها حتى تؤهل للفناء في الله.

وزاد الصوفية ثورة على شاعر الحياة والقوة أنه عمد إلى إمام من أئمتهم وشاعر من أعظم شعرائهم «لسان الغيب حافظ الشيرازي» فحطّ من شأنه وغضّ من طريقته، ونهى الناس عنها، وحذرهم منها، وكذلك خالف محيي الدين بن عربي الملقب بالشيخ الأكبر، وغلطه، وقال: إن آراءه غير إسلامية.

وقد أجاب إقبال المعترضين أجوبة منها قوله في رسالة إلى الشيخ حسن نظامي:

... إني بفطرتي وتربيتي أنزع إلى التصوف، وقد زادتني فلسفة أوروبا نزوعاً إليه، فإن هذه الفلسفة في جملتها تنزع إلى وحدة الوجود؛ ولكن تدبّر القرآن المجيد، ومطالعة تاريخ الإسلام بإمعان عرفاني غلطي، وبالقرآن عدلت عن أفكارى الأولى، وجاهدت ميلي الفطري، وحِدْتُ عن طريق آبائي. إن الرهبانية ظهرت في كل أمة وعملت لإبطال الشريعة والقانون؛ والإسلام في حقيقته هو دعوة إلى مخالفة الرهبانية.

والتصوف الذي شاع بين المسلمين — أعني التصوف العجمي — أخذ من رهبانية كل أمة، وجهد أن يجذب إليه كل نحلة، حتى القرمطية التي قصدت إلى التحلل من الأحكام الشرعية.

إن حالة السكر — في اصطلاح الصوفية — تنافر الإسلام وقوانين الحياة، وحالة الصحو — وهي الإسلام — توافق قوانين الحياة، وإنما قصد الرسول ﷺ إنشاء أمة صاحبة، ولهذا نجد في صحابة الرسول الصديق والفاروق، ولا نجد حافظاً الشيرازي ...

ولا أنكر عظمة الشيخ ابن عربي وفضله، بل أعده من كبار فلاسفة المسلمين، ولا أرتاب في إسلامه؛ فإنه يحتج لعقائده، كقوم الأرواح ووحدة الوجود، بالقرآن مخلصاً، فأراؤه على صوابها وغلطها قائمة على تأويل القرآن. وأرى أن تأويله غير صحيح، فأنا أعده مسلماً مخلصاً، ولا أتبعه في مذاهبه.

ويقول في رسالة أخرى إلى أحد المعترضين:

الحق أن التماس معانٍ باطنة في قانون أمة، هو مَسْحٌ لهذا القانون، كما يعلم من سيرة القرامطة، ولا يختار هذه الطريقة إلا أمةٌ في فطرتها الخنوع والذلة. وفي شعراء العجم جماعة في طباعهم الميل إلى الإباحة ... وقد افتنَّ هؤلاء الشعراء في إبطال شعائر الإسلام بأساليب عجيبة خداعة.

وفي رسالة أخرى إلى هذا المعترض نفسه يقول إقبال:

كل شعر التصوف ظهر في زمان ضعف المسلمين السياسي، وكل أمة يصيبها
ضعف كالذي أصاب المسلمين بعد غارات التتار، تتبدّل أنظارها وتجمّل
الاستكانة في أعينها، وتركن إلى ترك الدنيا، وفي هذا الترك تخفي ضعفها
وهزيمتها في تنازع البقاء ...

خلاصة المقدمة التي كتبها إقبال لأسرار خودي

ما هذا الشيء الذي نسميه «أنا» أو «خودي» أو «مين» الذي يبدو في أعماله ويخفى في حقيقته، والذي يخلق كل المشاهدات، ولكن لطافته لا تحتل المشاهدة؟ أهو حقيقة دائمة أم أن الحياة تجلت في هذا الخيال الخادع، وهذا الكذب النافع، تجلياً عرضياً لتحقيق مقاصدها العملية الراهنة؟

إن سيرة الأفراد والجماعات موقوفة على جواب هذا السؤال ... ولكن جواب هذا السؤال لا يتوقف على المقدرة الفكرية في الآحاد والجماعات، كما يتوقف على طباعها وفطرتها، فأمام الشرق المتفلسفة أميل إلى أن تعتبر «أنا» في الإنسان من خداع الخيال، وهي تعدُّ الخلاص من هذا الغُلّ نجاة، وميلُ أهل الغرب إلى العمل ساقهم إلى ما يلائم طباعهم في هذا البحث.

ويمضي إقبال في مقدمته قائلاً:

اختلطت في عقول الهنادك وقلوبهم النظريات والعمليات اختلاطاً عجيباً، ودقق حكمائهم في حقيقة العمل، وانتهوا إلى هذه النتيجة: إن حياة «أنا» المسلسلة، وهي أصل المصائب والآلام، تنشأ من العمل، وإن حالة النفس الإنسانية نتيجة محتومة لأعمالها.

وكانت رسالة الإسلام في غربي آسيا دعوة إلى العمل بليغة، فالإسلام يرى أن «أنا» مخلوق ينال الخلود بالعمل، ولكن تشابهاً عجيباً في تاريخ الفكر الهندي والإسلامي، يظهر في بحث هذه المسألة، فالفكرة التي فسر بها شنكر أچاريه، كتاب الجيتا «كيتا» هي

الفكرة التي فسر بها القرآن محيي الدين بن عربي الأندلسي، وكان له أثر بليغ في عقول المسلمين وقلوبهم، جعل ابن عربي بعلمه ومكانته مسألة وحدة الوجود عنصراً في الفكر الإسلامي، واقتفى أثره أوجد الدين الكرمانى وفخر الدين العراقي، حتى اصطبغ بهذه الصبغة كل شعراء العجم في القرن السادس الهجري.

خاطب فلاسفة الهند العقل في إثبات وحدة الوجود، وخاطب شعراء إيران القلب، فكانوا أشد خطراً وأكثر تأثيراً، حتى أشاعوا بدقائقهم الشعرية هذه المسألة بين العامة؛ فسلبوا الأمة الإسلامية الرغبة في العمل.

وتمتاز أمم الغرب بين أمم العالم بميلها إلى العمل، فأراؤهم خير دليل لأمم المشرق إلى فهم أسرار الحياة.

وبدأت الفلسفة الجديدة في الغرب من وحدة الوجود التي دعا إليها الفيلسوف الهولندي الإسرائيلي^٢، ولكن مساحة العمل غلبت على طبائع الغرب، فلم يلبث طويلاً طلسم وحدة الوجود التي أثبتت بأدلة رياضية، سبق الألمان إلى إثبات حقيقة «أنا» الإنسانية المستقلة، ثم تحرر من هذا الطلسم الخيالي فلاسفة الغرب على مر الزمان ولا سيما فلاسفة الإنكليز.

ويختم إقبال بقوله:

هذه خلاصة تاريخ المسألة التي هي موضوع هذه المنظومة، وقد اجتهدت أن أحرر هذه المسألة الدقيقة من تعقيد الأدلة الفلسفية، وألونها بألوان الخيال ليتيسر إدراك حقيقتها.

ولم أقصد بهذه الديباجة إلى تفسير هذه المنظومة، ولكن أردت أن أدل على الطريق من لم يُلمّ من قبل بدقائق هذه المسألة العسيرة. ولا ينبغي هنا أن أتناول هذه المنظومة من حيث الشعر، فإنما خيال الشعر فيها وسيلة إلى توجيه الناس إلى هذه الحقيقة:

إن لذة الحياة مرتبطة باستقلال «أنا» وبإثباتها وإحكامها وتوسيعها، وهذه الدقيقة تمهد إلى فهم حقيقة «الحياة بعد الموت».

وينبغي أن يعلم القراء أن لفظ «خودي» لا يستعمل في هذه المنظومة بمعنى الأثرة كما تستعمل في اللغة الأردية غالباً، إنما معناها الإحساس بالذات أو تعيين الذات. وهي بهذا المعنى في كلمة «بيخودي» كذلك.

خلاصة المقدمة التي كتبها إقبال لأسرار خودي

هوامش

(١) مين بالأردية معناها أنا.

(٢) يعني اسبنوزا.

خلاصة مقال الشاعر إلى الأستاذ نكلسون

مذهب الأستاذ بريدي أن كل مركز للشعور محدود، أي كل ذات مفردة، خداع نظر باطل، وأنا أقول — على خلاف هذا: إن مركز الشعور المحدود الذي لا يدرك «الذات» هو حقيقة الكائنات، فالذات حق لا باطل.

الحياة كلها فردية، وليس للحياة الكلية وجود خارجي، وحيثما تجلت الحياة تجلت في شخص أو فرد أو شيء، والخالق كذلك فرد؛ ولكنه أوجد لا مثل له. وظاهر أن هذا التصور للكائنات يخالف كل المخالفة ما ذهب إليه شراح فلسفة هيكل من محدثي الإنكليز، ويخالف أصحاب وحدة الوجود الذين يرون أن مقصد حياة الإنسان: أن يفني نفسه في الحياة المطلقة أو «أنا» المطلق، كما تفنى القطرة في البحر. أرى أن هدف الإنسان الديني والأخلاقي، إثبات ذاته لا نفيها، وعلى قدر تحقيق انفراده أو وحدته، يقرب من هذا الهدف.

قال الرسول ﷺ: «تخلقوا بأخلاق الله» فكلما شابه الإنسان هذه الذات الوحيدة كان هو كذلك فردًا بغير مثيل.

وتنقص فرديته على قدر بعده من الخالق، والإنسان الكامل هو الأقرب إلى الله، ولكن ليس القصد من هذا القرب أن يفني وجوده في وجود الله — كما تقول فلسفة الإشراق — بل هو على عكس هذا، يمثل الخالق في نفسه.

الحياة رقيٌّ مستمر، تسخر كل الصعاب التي تعترض طريقها، وحقيقتها أن تخلق دائماً مطالب ومُثُلًا جديدة، وقد خلقت من أجل اتساعها وترقيتها آلات كالحواس الخمس والقوة المدركة لتقهر بها العقبات والمشقات.

وأشد العقبات في سبيل الحياة: المادة أو الطبيعة، ولكن المادة ليست شرًا كما يقول حكماء الإشراق، بل هي تعين الذات على الرقي، فإن قوى الذات الخفية تتجلى في مصادمة هذه العقبات.

وإذا قهرت الذات كل الصعاب التي في طريقها بلغت منزلة الاختيار، الذات نفسها فيها اختيار وجبر، ولكنها إذا قاربت الذات المطلقة نالت الحرية الكاملة، والحياة جهاد لتحقيق الاختيار، ومقصد الذات أن تبلغ الاختيار بجهادها.

دوام الذات أو الشخصية

مركز حياة الإنسان ذات «خودي» أو شخص، أعني: أن الحياة حينما تتجلى في الإنسان تسمى ذاتًا.

وشخصية الإنسان — من الوجهة النفسانية — حال من التوتر، ودوام الشخصية موقوف على هذه الحال، فإن زالت هذه الحال عقبتها حال من الاسترخاء مضرّة بالذات، فإن يكن في حالة التوتر هذه كمال الإنسان فأول فرض عليه أن يعمل لدوام هذه الحال والحيلولة دون حال الاسترخاء.

وكل ما يمكّننا من إدامة حال التوتر يمكّننا من الخلود.

وهذا التصور للشخصية يقوم معيارًا لقيّم الأشياء، أعني أن في ذاتنا معيار الحسن والقبح، وبهذه تُحل مسألة الخير والشر، فما يقوّي الذات خير وما يُضعفها شر، ويجب أن يقوم الدين والأخلاق والفنون بهذا المعيار أيضًا.

واعتراضي على أفلاطون هو في أصله اعتراض على كل النظم الفلسفية التي تقصد إلى الفناء لا البقاء والتي تُغفل المادة، وهي أكبر العقبات في سبيل الحياة، وتدعو إلى الفرار منها لا إلى تسخيرها والتسلط عليها.

وكما تعرض مسألة المادة في مبحث حرية الذات، تعرض مسألة الزمان في مبحث خلودها.

يقول برجسون: إن الزمان ليس خطًا ممتدًا إلى غير نهاية يتحتم علينا المرور به، هذا التصور للزمان غير صحيح، فالزمان الخالص لا يدخل فيه تصور الطول، أي لا نستطيع قياسه بمقياس الليل والنهار.

إن خلود الذات أمل، من أراد أن يظفر به فليجد ويدأب لبلوغه، والظفر به موقوف على أن نسلط طريقًا للفكر والعمل في هذه الحياة يعيننا على حفظ حالة التوتر، ولا

يستطيع إبلاغنا هذا الأمل دين بوذا والتصوف العجمي، وما إلى هذين من نظم الأخلاق الأخرى، لقد أضرت بنا هذه الطرق فأضرعتنا وأنامتنا، إن هذه المذاهب هي الليالي في أيام حياتنا.

تربية الذات

لا ريب أن الذات تستحكم بالعشق، ومفهوم العشق هنا واسع جداً، ومعناه: إرادة الجذب والتسخير، وأعلى أشكاله أن يخلق مقاصده ويجد في نيلها، وخاصة العشق أفراد العاشق والمعشوق، أعني: إظهار الانفراد والاستقلال فيهما، وإذا جدَّ الطالب في طلب الأوحى الأسمى ظهر فيه التوحد، ويتحقق ضمناً توحد المطلوب؛ لأنه إن لم يكن واحداً مستقلاً بنفسه لم يسكن الطالب إليه، إنما يمكن عشق شخص أو وجود معين، ولا يمكن لشخص عشق كائن غير مشخص.

وكما تستحكم الذات بالعشق تضعف بالسؤال، وكل ما ينال بغير جهد يعد سؤالاً، فالذي يرث مال غيره سائل، والذي يتبع أفكار غيره أو يدعيها لنفسه سائل. والخلاصة: أنه ينبغي — لأجل إحكام الذات — أن نخلق في أنفسنا العشق، ونتجنب كل ضروب الاستجداء (أي: البطالة).

إن في حياة الرسول ﷺ أسوة حسنة للمسلم، فقد كانت حياته خير مثل للسعي الدائم، لقد كانت حياته كلها صورة للعمل. أشرت في فصول من هذا المثنوي إلى أصول فلسفة الأخلاق الإسلامية، وبيّنت أن لكمال الذات ثلاث مراحل:

(١) إطاعة القانون الإلهي.

(٢) وضبط النفس.

(٣) والنيابة الإلهية.

والنيابة الإلهية في هذه الدنيا هي أعلى درجات الرقي الإنساني، ونائب الحق «الله» خليفة الله في الأرض، وهو أكمل ذات تطمح إليها الإنسانية، وهو معراج الحياة الروحي. وأول شرط لظهور نائب الحق أن ترقى الإنسانية في جانبيها الروحي والجسمي؛ فإن ارتقاء الإنسانية يقتضي ظهور أمة مثالية يتجلى في أفرادها — في الجملة — هذا التوحد الذاتي، وتصلح لأن يظهر فيها نائب الحق.

فمعنى سلطان الله في الأرض: أن تقوم فيها جماعة شورى يتوحد أفرادها، ويقوم على هذه الجماعة واحد يمكن أن يسمى نائب الحق أو الإنسان الكامل، وهذا الإنسان الكامل يبلغ ذروة الكمال التي لا تتصور فوقها ذروة. وقد رأى نطشه (الفيلسوف الألماني المعروف) ضرورة ظهور هذه الأمة المثالية، ولكن دهريته وإعجابه بالسلطان مسخا فلسفته كلها أ.هـ.

هذه خلاصة رسالة إقبال إلى الأستاذ نكلسون، وحسبنا في إيضاح مذهبه ما قدمنا من تلخيص رسائله ومقدمته لأسرار الذات، ورسالته إلى نكلسون.

أسرارُ إثبات الذات

رأيتُ الشيخ بالمصباح يسعى
يقول: مللتُ أنعامًا وبَهَمًا
برمتُ برفقةٍ خارت قواها
فقلنا: ذا مُحالٌ، قد بحثنا،
له في كل ناحية مجال
وإنسانًا أريد، فهل يُنال؟
برستُم أو بحيدر اندمال^١
فقال: ومُنيتي هذا المحالُ

مولانا جلال الدين الرومي

تمهيد

ليس في أعواد غابي سَقَطُ
هي للمنبر أو أعواد صَلْبُ^٢

نظيري النيسابوري

قطع الصبحُ على الليل السفرُ
غسل الدمعُ سُبَاتَ النرجسِ
جَرَّبَ الزارعُ قولي مُحَصدا
إنَّه حَبٌّ دموعي زَرعا
فَهَمَى دمعِي على خدِّ الزهرِ
وصحا العُشبُ بِمَسَرَى نَفْسِي
مِصرَعًا ألقى، وسيفًا حَصدا
نسجَ الروضِ وأناتِي معا

ذَرَّةٌ قَدْ نَالَتْ الشَّمْسَ أَنَا طِينَتِي مِنْ جَامٍ جَمٌّ أَنُورُ
 كَمْ صَبَاحٍ فِي فُؤَادِي كَمْنَا صَيِّدُ أَفْكَارِي ظِبَاءٌ لَمْ تُرْمَ
 مِنْ غِيُوبِ الْكَوْنِ عِنْدِي خَبْرٌ^٢ زَانَ بُسْتَانِي عَشْبٌ مَا ظَهَرَ
 لَمْ تُسَيِّبْ بَعْدَ مَنْ قِيدَ الْعَدَمِ مُحْفِلُ الشَّادِينَ مِنِّي يَرْجُفُ
 وَجَنِيْتُ الْوَرْدَ فِي جَوْفِ الشَّجَرِ^٤ صَامِتٌ فِي رِبَابِ الْفِطْرَةِ
 فِي وَتَارِ الْكَوْنِ كَفِّي تَعْرِفُ إِنْنِي شَمْسٌ قَرِيبٌ مَوْلِي
 مَا وَعَى عَنِّي جَلِيسِي نَغْمَتِي لَمْ يَرْغُ ضَوْئِي سَرَبَ الزَّهْرِ
 حُبُّكَ فِي فَلَكٍ لَمْ أَعْهَدُ مَا رَأَتْ رَقَصَ ضِيَائِي الْأَبْحُرُ
 أَوْ يُرْجَرْجُ زَيْتُي فِي الْبَصْرِ^٥ عَيْنُ هَذَا الْكَوْنِ لِي لَا تَعْهَدُ
 أَوْ كَسَا الْأَطْوَادَ ثُوبِي الْأَحْمَرُ مَرْقُ الظُّلْمَةِ فَجْرِي فَسَفَرُ
 أَنَا مِنْ خَوْفِ طُلُوعِ أَرْعَدُ إِنْنِي أَرْقُبُ صَبْحًا مُعْلَمًا
 وَبَدَأَ طَلٌّ جَدِيدٌ فِي الزَّهْرِ
 حَبَّذَا مِنْ حَوْلِ نَارِي زَمْزَمَا^٦

* * *

أَنَا لَحْنٌ دُونَ ضَرْبٍ صَعْدَا دُونَ عَصْرِي كُلُّ سَرٍّ قَدْ خَفِيَ
 مَا بِهِذِي السُّوقُ يُشْرِى يَوْسُفِي^٧ أَنَا فِي يَأْسٍ مِنَ الصَّحْبِ الْقَدِيمِ
 مُشْعَلُ طُورِي لِيَغْشَاهُ كَلِيمٌ^٨ بَحْرٌ صَحْبِي قَطْرَةٌ لَا تَزْخَرُ
 قَطْرَتِي كَالْيَمِّ فِيهِ صَرَصَرُ مِنْ وَجُودٍ غَيْرِ هَذَا لِي غِنَاءُ
 وَلَرَكِبٍ غَيْرِ هَذَا لِي حُدَاءُ كَمْ تَجَلَّى شَاعِرٌ بَعْدَ الْحِمَامِ
 يَوْقِظُ الْأَعْيَنَ حِينًا وَيَنَامُ وَجْهُهُ مِنْ ظُلْمَةِ الْمَوْتِ سَفَرُ
 وَنَمَا مِنْ قَبْرِهِ مِثْلَ الزَّهْرِ^٩

* * *

كَمْ بِهِذَا السَّهْبِ مَرَّتْ قَافِلُهُ كَمْ بِهَذَا السَّهْبِ مَرَّتْ قَافِلُهُ
 مِثْلَ سَيْرِ النُّوقِ رَهْوًا سَابِلُهُ غَيْرَ أَنِّي عَاشِقٌ، دِينِي النُّوَاخُ
 ثَوْرَةُ الْمَحْشَرِ فِي هَذَا الصِّيَاخُ أَنَا لَحْنٌ كُلُّ عَنْهُ الْوَتَرُ
 لَا أَبَالِي أَنَّ عَوْدِي يُكْسِرُ^{١١} أَبْعَدِ الْقَطْرَةَ عَنْ سَيْلِ طَمَا
 وَانْظُرَنَّ الْيَمَّ مِنْهُ التَّطَمَا لَا تَعِي مُوجِي هَذَا الْأَنْهَرُ
 لا تَعِي مُوجِي هَذَا الْأَنْهَرُ لَيْسَ أَهْلًا لِسَحَابِي زَهْرَةٌ
 لَيْسَ فِيهَا لِنَمُو رَوْضَةٌ^{١٢}

كم بُرُوقِ نَائِمَاتٍ فِي الْجَنَانِ ضَاقَتْ الْبَيْدُ لَدَيْهَا وَالْقِنَانُ^{١٣}
 إِنْ تَكُنْ صَحْرَاءَ فَاطْلُبْ لَجَّتِي أَوْ تَكُنْ سَيْنَاءَ فَاقْبِسْ شُعْلَتِي
 قَدْ حُبِيتُ الْوَرْدَ مِنْ عَيْنِ الْحَيَاءِ وَوُهِبْتُ السَّرَّ مِنْ عَيْنِ الْحَيَاءِ^{١٤}
 أَشْعَلَ الذَّرَّةَ لَحْنِي الثَّائِرُ رَفَرَفْتُ فَهِيَ يَرَاعُ طَائِرُ
 مَا نَاذَا السَّرَّ غَيْرِي فِي الْبَشَرِ لَمْ يَثْقُبْ نَازِمٌ مِثْلِي الدَّرُّ
 أَقْبِلُنْ إِنْ تَبَغَّ عَيْشُ الْخَالِدِينَ
 أَقْبِلُنْ إِنْ تَبَغَّ مُلْكُ الْعَالَمِينَ

أَفْشَتِ الْأَفْلَاقَ لِي السَّرَّ الْقَدِيمُ كَيْفَ يُخْفَى السَّرُّ مِنْ دُونِ النَّدِيمِ؟
 أَيُّهَا السَّاقِي! مِنَ الرَّاحِ اسْقِنِي وَأُسْ فِي قَلْبِي جِرَاحَ الزَّمَنِ
 شَعْلَةُ الْمَاءِ الَّتِي مِنْ زَمْزَمٍ قِيصَرُ يَعْنُو لَهَا كَالْخَدَمِ
 مُقْلَةُ الْمُبْصِرِ مِنْهَا أَبْصَرُ وَشُعَابُ الْفِكْرِ مِنْهَا، أَنْوَرُ
 تَجْعَلُ الرِّيشَةَ طَوْدًا قَاهِرًا وَتُرَى الثُّعْلَبِ لَيْثًا زَائِرًا
 هِيَ تَسْمُو لِلثَّرِيَّا بِالثَّرَى وَتَعِي الْقَطْرَةَ مِنْهَا أَبْحَرَا
 تَجْعَلُ الدَّرَّاجَ حَتَفَ الْأَصْفَرِ وَتُورِ الْفِكْرَ بِنُورِ الْقَمَرِ
 لَأَقُودَ الرِّكْبَ شَطْرَ الْمَنْزَلِ بَاعِثًا شَوْقَ السُّرَى فِي الْمُقَلِّ
 رَائِيًا وَجَهَ جَدِيدِ الْأَمَلِ رَأَى إِنْسَانٌ عَيْنَ الْعَارِفِينَ
 مُعْلِيًا قَدَرَ الْكَلَامِ الْمُبْدَعِ نَوَّرَ الْفِكْرَ بِنُورِ الْقَمَرِ
 قَارِئًا مِنْ فَيْضِ ذَا الشَّيْخِ الْعَظِيمِ بَاعِثًا شَوْقَ السُّرَى فِي الْمُقَلِّ
 قَلْبُهُ مِنْ شَعْلَةِ الْوَجْدِ اسْتَعَزَّ سَاعِيًا إِثْرَ جَدِيدِ الْعَمَلِ
 قَدْ رَمَى الشَّمْعُ فَرَاشِي بِاللَّهَبِ وَأُرَى لَحْنًا بِأَذْنِ الْعَالَمِينَ
 صَيَّرَ الرُّومِيَّ طِينِي جَوْهَرًا مَازَجًا فِيهِ غَزِيرَ الْأَدْمَعِ
 ذَرَّةٌ تَصْعَدُ مِنْ صَحْرَائِهَا كُتُبًا تُضْمِرُ أَسْرَارَ الْعُلُومِ^{١٥}
 إِنَّنِي فِي لُجَّةِ مَوْجٍ جَرَى وَأَنَا فِي نَفْسٍ مِنْهُ شَرَرُ
 قَدْ عَرَّتْنِي نَشْوَةٌ مِنْ كَاسِهِ وَغَزَتْ جَامِي الْحُمِيَّ فَالْتَهَبُ^{١٦}
 لَتَنَالِ الشَّمْسُ فِي عَلَيَّائِهَا مِنْ غُبَارِي شَادَ كَوْنًا آخَرَا
 لِأُصِيبَ الدَّرَّ فِيهِ نَيْرَا لَتَنَالِ الشَّمْسُ فِي عَلَيَّائِهَا
 وَحَيَاةً نَلْتُ مِنْ أَنْفَاسِهِ

ليلةً رانت على قلبي الشجون وسرت «يا رب» في الليل السكون^{١٧}
من فراغ الكأس قلبي نائحُ من صروف الدهر شاك صائح
أرهق التسيارُ فكري فثوى هيضُ سِقْطاه وللنوم هوى^{١٨}

* * *

لاح شيخ الحق ذاك الألمعي من حكى قرآننا بالفهلوي^{١٩}
قال: يا ولهان بين العاشقين! من شراب العشق فاجرع كل حين
شُقَّ في العين حجابَ البصر وأثر في القلب هولَ المحشر
واجعلن الضحك ينبوع البكاء واملأ العين دموعاً من دماء
أنت كالكم صموت أبكم انشُرْ كالورد ريحاً تَفْغَمُ^{٢٠}
صعدن من كل عضو، كالجرس نوحك الصامت — في كل نفس
أنت نار فأضئ للعالمين بلهيب منك أذكِ الآخرين^{٢١}
سرَّ شيخ الحان أعلن في هياج كن مُداماً واتخذ ثوبَ الزجاج^{٢٢}
وكن الفهرَ لمرأة الفكر واصدعن جهراً وأعلن ما استتر^{٢٣}
حدثن كالناري عن غاب نأى حدثن قيساً عن الحي انتأى^{٢٤}
جدد النوح بلحن محدث ومن الآهات في الحفل انفث
كل حيّ فيه رَوْحاً أَحْكَم وزد الحيّ حياةً من «قُم»^{٢٥}
وهلم اسلك طريقاً أنفاً وانفِ عن قلبك ما قد سلفا
جرس الركب! تنبّه لا تنم واعرف اللذة في هذا النغم

* * *

صرتُ ناراً في ثيابي تُسَعِر صرت كالناري، هياجاً أضمر
ثُرتُ من أوتار نفسي نغماً شدتُ من حسن بياني إرماً^{٢٦}
فرفعتُ الستر عن سرّ خودي
فبدا الإعجاز من أمر خودي^{٢٧}
كان كوني صورة لم تكمل كان سِقْطاً مُهملاً في الهمل
مُبرّدُ العشق براني رجلاً كيفَ هذا الكون والكم جَلاً^{٢٨}
فرأت عيناى نبض الأنجم وبعرق البدر دُوراتِ الدم^{٢٩}
وبكيت الناس جنح الظلم فبدا سرُّ حياة الأمم

فَتَجَلَّى سِرُّ تَقْوِيمِ الْحَيَاةِ	مَصْنَعُ الْكَوْنِ أَرَانِي مَا حَوَاهِ
فِي طَرِيقِ الْمَلَةِ الْبَيْضَا غِبَارٌ ^{٢٠}	أَنَا — مَنْ فِي ظِلْمَةِ اللَّيْلِ أَنْارُ —
لَحْنُهَا فِي الْقَلْبِ نَارًا أَشْعَلَا	صَوْتُهَا فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ عَلَا
أَلْفَ رُومِيٍّ وَعَطَّارَ جَنَّتِ ^{٢١}	ذَرَّةً أَلَقْتُ وَشَمْسًا حَصَدْتُ
عِثْرَتِي النَّارُ، وَإِنْ كُنْتُ الدِّخَانُ ^{٢٢}	أَهْتِي الْحَرَّى سَمْتُ فَوْقَ الْعَنَانِ
فَجَلَا الْأَسْرَارُ فِي السَّبْعِ الْعُلَا	قَلَمِي فِي مَسْرَحِ الْفِكْرِ عَلَا

* * *

نَحَتَ أَصْنَامَ وَتَعْظِيمَ صَنَمِ ^{٢٣}	مَا قَصَدْتُ الشَّعْرَ فِي هَذَا النَّعَمِ
وَهَلَالَ أَنَا ذُو جَامِ خَلِيٍّ ^{٢٤}	أَنَا هِنْدِيٌّ شَأْنِي الْفَارَسِيَّ
لَحْنِ خَنْسَارٍ بِهِ أَوْ أَصْفَهَانِ ^{٢٥}	لَا تَوُمِّلْ عِنْدَنَا حَسْنَ الْبَيَانِ
لَكِنْ الدَّرِّيُّ أَحْلَى مَخْبَرًا ^{٢٦}	ذَاكُمُ الْهِنْدِيُّ يَحْكِي السَّكْرَا
فَإِذَا لِي شَجَرُ الطُّورِ يِرَاعُ ^{٢٧}	سَحَرَ الْفِكْرَ تَجَلَّى لَهُ وَرَاعُ
لَاءَمِ الْفَطْرَةِ فِي فِكْرِي الْعَلِيِّ	قَدْ عَلَا فِكْرِي، وَهَذَا الْفَارَسِيَّ
أَيُّهَا الْعَائِبُ كَأْسُ الْخَنْدَرِيسِ!	
انظُرْنَ يَا صَاحَ مَا تَحْوِي الْكُتُوسُ ^{٢٨}	

فِي بَيَانِ أَنَّ نِظَامَ الْعَالَمِ مِنَ الذَّاتِيَّةِ وَأَنَّ تَسْلُسَلَ حَيَاةِ أَعْيَانِ الْكَوْنِ لَا يَكُونُ إِلَّا بِاسْتِحْكَامِهَا

كُلُّ مَا تُبْصِرُ مِنْ أَسْرَارِهَا	هَيْكَلُ الْأَكْوَانِ مِنْ آثَارِهَا
عَالَمِ الْأَفْكَارِ مَا بَيْنَ الْمَلَا	نَفْسَهَا قَدْ أَيْقَظَتْ حَتَّى انْجَلَى
غَيْرُهَا يَثْبُتُ مِنْ إِثْبَاتِهَا	أَلْفُ كَوْنٍ مَخْتَفٍ فِي ذَاتِهَا
نَفْسَهَا تَنْظُرُ فِيهَا غَيْرَهَا	جَعَلَتْ بَزَرَ خَصَامِ بَزَرِهَا
لَتَرَى لَذَّتَهَا فِي بَأْسِهَا	خَلَقَتْ أَضْدَادَهَا مِنْ نَفْسِهَا
لَتَرَى مِنْ نَفْسِهَا قُدْرَتَهَا	تَبْتَلِي فِي نَفْسِهَا قُوَّتَهَا
غُسْلُهَا فِي دَمِهَا عَيْنَ الْحَيَاةِ ^{٢٩}	خُدْعُ مَنْ وَهَمَهَا عَيْنُ الْحَيَاةِ
تُكْثِرُ النُّوحَ لِأَجْلِ النِّعْمَةِ	تُخْرِبُ الْبِسْتَانَ أَجْلَ الْوَرْدَةِ

لِفُلَيْكِ واحد أَلْفُ هلال	ولحرف واحد أَلْفُ مقال
عذرُها في سَرْفٍ أو قسوة	أنها تبغي جمال الخلقة ^{٤٠}
حُسْنُ شيرينَ لفرهادِ مَحَنُ	ومن المسك رَدَى ظَبْيُ الخُنْ ^{٤١}
في فَراشِ حرقة كالشعل	عذُرُه في شمعه المشتعل
أَلْفُ يوم سَطَّرته يَدُها	لِيُجَلِّي في سناه غَدُها
أَلْفُ إبراهيم في النار اغتدى	لسراج يُرْتَجِي من أحمد ^{٤٢}

* * *

هَمَّها الأعمال فهي الفاعلُ	وهي العَلَّةُ وَهي القابل
ثورة فيها وإجفال، ونور	واحتراق واختفاء وظهور ^{٤٣}
سَعة الأيام مَيدانُ لها	والسماء النَقْعُ يعلو سُبُلُها
يدها في الطين، للكون ازدهارُ	نومها الليل، وفي الصحو النهار
قَسَمَت شعلتها في شَرَر	فرأى الأجزاء عقلُ المُفكر
تخلق الأجزاء إما تَنفطر	تُنشئ الصحراء إما تنتشر
ثم صارت بانتشار في ملال	فاحزَلَّت فبدت شَمُ الجبال ^{٤٤}
شيمة الذاتِ التجلِّي لا الخفاء	وهي في الذرات بأَس وضياء
قوة صامتة جلفُ عَمَلُ	عملُ اليوم لآتيها عِلل
قوة الذات من الكون النواه	فعلى قدر القُوى قدر الحياه
كَلِمة الذات تعيها قطرة	فإذا القطرة يومًا درَّة ^{٤٥}
خارت الخمر فلا شكل لها	ومن الكأس استعارت شكلها ^{٤٥}
وسها طود عن النفس فحار	فغدا صحراء تغشاها البحار ^{٤٦}

* * *

يُعَقِّدُ النور لخلق المقلّة	تخفق العين بشوق الجَلوة
وإذا العشب نماءً أضمرأ	شقَّ صدر المريج حتى يظهرأ
يجمع الشمعُ بعزم نفسه	ومن الذرات يُعلي رأسه
ويُذيب النفس إِمَّا غَفَلأ	فتراه دمع عين هملا ^{٤٧}

* * *

شَدَّتْ الْأَرْضُ قَوَاهَا فَالْقَمَرُ فِي طَوَافٍ حَوْلَهَا لَا مُسْتَقَرَّ
وَكَيَانُ الشَّمْسِ مِنْهَا أَكْبَرُ فَلَهَا عَيْنٌ ذُكَاءٌ تَسَحَرُ
وَعَلَا الْحَوْرُ فَهَالِ النَّاظِرَا وَعَلَا الطَّوْدُ أَبْيَا قَاهِرَا
وَارْتَدَى كَسْوَةُ نَارٍ حَامِيَهُ أَصْلُهُ حَبَّةٌ نَبَتَ أَبِيهِ^{٤٨}
إِنَّ ذَاتَا جَمَعْتُ أَسْرَ الْحَيَاةِ
مَنْ غَدِيرٍ أَزْخَرَتْ بَحَرَ الْحَيَاةِ^{٤٩}

فِي بَيَانِ أَنَّ حَيَاةَ الذَّاتِ بِتَخْلِيْقِ الْمَقَاصِدِ وَتَوَلِيدِهَا

إِنَّمَا يُبْقِي الْحَيَاةَ الْمَقْصِدُ جَرَسٌ فِي رَكْبِهَا مَا تَقْصِدُ^{٥٠}
سِرٌّ عَيْشٍ فِي طِلَافٍ مُضْمَرٍ أَصْلُهُ فِي أَمَلٍ مُسْتَتَرٍ
أَحْيٍ فِي قَلْبِكَ هَذَا الْأَمَلَا لَا يَحُلُ طِينُكَ قَبْرًا مُهْمَلَا
يَخْفِقُ الْقَلْبُ بِهِ بَيْنَ الصَّدُورِ هُوَ فِي صَدْرِكَ مِرَاةٌ تُنِيرُ
يَهْبُ التَّرَبُّ جَنَاحًا يَصْعَدُ وَلِمُوسَى الْعَقْلُ خَضْرَاءً يُرْشِدُ^{٥١}
إِنَّمَا يَحْيَا الْفَوَؤَادُ الْأَمَلُ وَإِذَا حَيٌّ يَمُوتُ الْبَاطِلُ
فَإِذَا عَيٌّ بِتَخْلِيْقِ الْمُنَى هَيْضُ سِقْطَاهُ وَأَوْدَى وَهَنَا
أَمَلُ الذَّاتِ لَهَيْبٌ يَسْتَعِزُّ أَوْ هُوَ الْمَوْجُ الَّذِي لَا يَسْتَقِرُّ
وَهَقُّ الْمَقْصُودِ حَبْلُ الْأَمَلِ إِنَّهُ خَيْطُ كِتَابِ الْعَمَلِ^{٥٢}
وَمِمَاتِ الْحَيِّ فَقْدَانُ الرَّجَاءِ يُطْفِئُ الشَّعْلَةَ فَقْدَانُ الْهَوَاءِ

* * *

كَيْفَ فِينَا أَعَيْنَ قَدْ ظَهَرَتْ؟ لَذَةُ الرُّؤْيَا فِينَا صَوَّرَتْ^{٥٣}
مَنْ مَنَى التَّخْطَارَ رِجْلُ الْحَجَلِ مِنْ مَنَى التَّغْرِيدِ حَلَقُ الْبَلْبَلِ
حَيٌّ نَائِيٌّ قَدْ نَائَى عَنْ غَابِهِ أَطْلُقُ النِّعْمَةَ مِنْ أَوْصَابِهِ
ذَلِكَ الْعَقْلُ الَّذِي الْكَوْنُ طَوَى وَتَرَى الْإِعْجَازَ فِيهِ وَالْقُوَى
إِنَّمَا أَصْلُ الْحَيَاةِ الْأَمَلُ فَكَذَاكَ الْعَقْلُ مِنْهُ يُنْسَلُ^{٥٤}

* * *

ما نظامٌ في شعوبٍ وسُنن؟ ما ترى التجديدَ في علمٍ وفنٍّ؟^{٥٥}
 أملٌ من قوةٍ فيه ظهرُ يَرَحُ القلبَ فغشَّته صُورُ
 كل ما نملك من هذي الحواسِّ كلُّ عُضو فيه للعيش التماسُ
 كل فكرٍ وخيالٍ واعتبار كل حسٍّ وشعورٍ وادِّكارُ
 هي آلات الحياة الجاهدة حين تَمضي في وغاها صامده
 ليس قصد العلم والفنِّ الفكرُ ليس قصد المرج ألوانَ الزهرِ
 إنما العلم وقاءٌ للحياة إنه للذات تقويم النجاة
 للحياة العلمُ والفنُّ خَدَم للحياة العلم والفن حَشم

* * *

جاهلاً سرَّ الحياة! اجتهد وامض نشوانَ بخمر المقصدِ
 مقصدٍ كالصبح في أنواره محرقٍ كل «سوي» في ناره
 مقصدٍ يجتاز آفاق السماء يأخذ القلب بحُسن وبهاء
 ثورة فيه وفيه محشرُ وعلى الباطل حرباً يُسعرُ
 نحن أحياء بخلق الأملِ نحن في نور بهذي الشعلِ

في بيان أن الذات تستحكم بالمحبة والعشق

نُقَطُ النور التي تُدعى الذواتُ شررٌ في طيننا للحَيَواتُ
 مُشعلٌ بالحبِّ منها الجوهرُ يتجلَّى من قواها المضمِرُ
 قطرةٌ بالعشق تُوعِي ضرماً وهي بالعشق تُنير العالماً^{٥٦}
 لا يهاب العشقُ في السيف المضاء ليس من ماء وترب وهواءُ
 هو في العالم صلحٍ وخصامُ للحياة الماء من هذا الحسامِ
 نظرة العشق بها شقُّ الصخور هو عشقُ الحق، والحقُّ يصيرُ
 فابغ في طينك هذي الكيمياء اقْبِسْ من كاملِ هذا الضياءِ^{٥٧}
 امض كالروميِّ شَمْعاً يَشْتعلُ وارم من تبريز في الروم الشُّعلِ^{٥٨}
 إن في قلبك معشوقاً ثوى أقْبَلْ أنبئك عن هذا الجوى

حُبُّهُمْ فِي كُلِّ قَلْبٍ لَا يَحُولُ
لِلثَّرِيَا يَرْتَقِي مِنْهُ الثَّرَى^{٥٩}
طَارَ وَجَدًا مُصْعِدًا نَحْوَ السَّمَاءِ
عِزَّةُ الْمُسْلِمِ ذَكَرَى الْمُصْطَفَى
دَارِهِ، لِلْكَعْبَةِ الْعِظْمَى حَرَمٌ
مُسْتَمَدٌّ مِنْ مَدَاهِ الْأَمَدِ
وَعَلَتْ تِيْجَانَ كَسْرَى أُمُّتِهِ
أُمَّةٌ مِنْهَا وَحُكْمًا مُشْرِقًا
فَحِبَا الْأُمَّةِ مُلْكًا خَالِدًا
عَيْنُهُ فِي الذِّكْرِ بِالدَّمْعِ تَجُودُ
حِينَ يَدْعُو الْحَقُّ بِالْغَنَمِ الْمُبِينِ
وَمِنَ الْمَاضِيْنَ مُلْكًا بَدَّدَا
عَقِمَتْ عَنْ مِثْلِهِ أُمُّ السَّنِينِ
هُوَ وَالْعَبْدُ سَوَاءٌ فِي الطَّعَامِ^{٦٠}

عَاشَقُوهُ قَدْ شَاؤُوا كُلَّ جَمِيلٍ
عَشَقُهُ فِي الْقَلْبِ نَوْرٌ أَسْفَرَا
تُرْبُ نَجْدٍ مِنْهُ قَدْ خَفَّ وَضَاءُ
مَهْجَةِ الْمُسْلِمِ مَثْوَى الْمُصْطَفَى
مَوْجَةٌ مِنْ نَقْعِهِ الطُّورُ الْأَشْمُ
ضَاقَ عَنْ أَنْ حَوَاهِ الْأَبْدُ
آثَرَتْ سُحْقَ حَصِيرِ عَقَّتِهِ
خَلَوَاتُ فِي حِرَاءِ خَلَقَا
كَمْ لِيَالٍ قَدْ قَضَاهَا سَاهِدَا
سَيْفِهِ فِي الْحَرْبِ قَطَاعَ الْحَدِيدِ
سَيْفِهِ «آمِينَ» تَمَحُّو الظَّالِمِينَ
سُنَنًا فِي كَوْنِنَا قَدْ جَدَدَا
فَتَحَ الدُّنْيَا لَهُ مِفْتَاحَ دَيْنِ
أَسْتَوَى مَوْلَى لَدِيهِ وَغَلَامُ

* * *

مِنْ عَلَا طِيًّا بِجَدَوَاهِ وَسَادًا^{٦١}
مُطَرِّقٌ فِي ذَلَّةِ الطَّرْفِ الْكَسِيرِ
إِذْ رَأَى وَجْهًا وَرَأْسًا حَاسِرًا
لَيْسَ يَكْسُونَا لَدَى الْأَقْوَامِ شَيْ
وَهُوَ فِي الْحَشْرِ إِلَيْنَا نَاضِرُ
لِصَدِيقٍ وَعَدُوٌّ رَافُهُ
قَالَ: «لَا تَثْرِيْبُ» وَهُوَ الْقَادِرُ^{٦٢}
نَحْنُ مِنْ عَيْنَيْنِ نَوْرٌ لَا مِرَاءَ^{٦٣}
كَالْغَدَى فِي وَجْهِ صَبْحِ مُشْرِقِ
كَزْجَاجِ نَحْنُ فِي الدُّنْيَا، وَرَاحَ^{٦٤}
نَارُهُ قَدْ أَحْرَقَتْ هَذَا الْهَشِيمَ
ضَمَّنَا مِنْهُ نِظَامَ أَلْفَا

أَسْرَتْ فِي غَزْوَةِ بَنَاتِ الْجَوَادِ
رَجُلَهَا فِي الْقَيْدِ وَالرَّأْسِ حَسِيرُ
بُرْدَةً أَلْقَى عَلَيْهَا سَاتِرًا
نَحْنُ أَعْرَى فِي الْوَرَى مِنْ أَخْتِ طِيٍّ
هُوَ فِي الدُّنْيَا عَلَيْنَا سَاتِرُ
لَطْفُهُ وَالْقَهْرُ كُلُّ رَحْمَةٍ
وَبِیَوْمِ الْفَتْحِ هَذَا الْغَافِرِ
إِنَّنَا مِنْ قَيْدِ أَوْطَانِ بَرَاءِ
نَحْنُ فِي مَغْرِبِنَا وَالْمَشْرِقِ
أَسْكَرْتُنَا عَيْنُ سَاقِ فِي الْبَطَاحِ
قَدْ مَحَا الْأَنْسَابَ طَرًّا ذَا الْعَظِيمِ
نَحْنُ زَهْرٌ وَشَذَانَا ائْتَلَفَا

نحن كنّا سرّه في قلبه فأذاعت صيحة الحقّ به

* * *

عشقه ثار بعودي الصامت	ألف لحن في فؤادي الساكت
ما حديثي عن ولاء واشتياق؟	قد بكى جذع مواتٍ للفراق ^{٦٥}
صورتي قد أوضحت مرأته	أنا صبحٌ أطلعت آياته
ثورة الحشر بليلي النائم	وهدوئي في اضطراب دائم
إنني البستان في آذاره	في عروقي الماء من أمطاره ^{٦٦}
قد غرست العين في حقل الوداد	من سراح العين لي هذا الحصاد ^{٦٧}
قد شأى الدارين من يثرب طيب	حبذا دار بها مثنوى الحبيب!
أنا للجامي في الشعر فداء	نظمه والنثر من جهلي دواء ^{٦٨}
قال بيتًا بالمعاني يفهق	فيه دُرٌّ من مديح يبرق
هو عنوان كتاب العالمين	سيد الكونين، مولى الثقلين

* * *

كم يُريك العشق من صهبائه	فترى التقليد من أسمائه ^{٦٩}
أحكم العشق بتقليد الحبيب	لتنال القرب من ربٍّ مُجيب
في جراء القلب فاقعد خاليًا	وإلى الحق فهاجر راضيًا
اقوين بالحق ثم ارجع إليك	واحطمنّ اللات والعزى لديك ^{٧٠}
اقوين بالعشق في سلطانه	وابتغ الجلوة في فارانه ^{٧١}

تظفرنّ بالقرب يا ذا السائل!

وتكن تفسير «إني جاعل»^{٧٢}

في بيان أن الذات تضعف بالسؤال

أيها الجابي من الأسد الخراج!	صرت كالثعلب خبًا باحتياج
ذلك الإعواز أصل العِلل	كلُّ آلامك من ذا المُعضل
سالب الرفعة من فكر رفيع	مطفئ الشمع من الذهن البديع

من كنوز الدهر أخرج ما تريد
وعن الرّجل ترجّل كعمر
صاح! حتّامَ اجتداء المنصب؟
تجد الإفلاس بالسؤال أذلّ
فرّق الذات سؤال واجتداء
إن يكن في الرزق والجّد عناء
لا ترّم في الأرض رزقاً بالبكاء
احذر الخزي أمام المصطفى
من سماط الشمس يقتات القمر
جاهد الأيام والله استعن
علّم الناس الصدوق الصائب
ويح من يحمل ذلّ النعمة
أرهق النفس بوقر الذلة
مرحباً بالظامئ الضحيان لا
بسؤال الناس لم يُند الجبين
تحت هذي الشمس يمضي ذا الفتى
زاد في العسر مضاء حدّه
وخذ الصهباء من دَنّ الوجود
احذرن من مِنّة الناس، الحذر^{٧٣}
فيم كالطفل ركوب القصب^{٧٤}
وترى السائل أخزى وأقلّ
فبدت سيناًوها دون ضياء^{٧٥}
وطغى حولك سيل من بلاء
لا ترجّ الماء من عين ذكاء^{٧٦}
يوم يخزي كل ساع ما وفى
فعليه وسم نُعماها ظهر^{٧٧}
ماء وجه الملة البيضاء صُنّ
أن «حبيبُ الله ساع كاسب»^{٧٨}
خافض الرأس لثقل المنّة
بنقيير باع تاج العزة
يسأل الخضر شرباً في الفلا^{٧٩}
ذا كم الإنسان، لا ماء وطين
عالي الرأس كسرو قد عتا
هو يقظان وغاف جدّه^{٨٠}
كُن حَبَابًا من عطاء ينفر
فارغ الكأس ببحر يزخر^{٨١}

في بيان أن الذات تستحكم بالمحبة والعشق فتسخر قوى العالم الظاهرة والباطنة

أمرها في الكون طرّاً يحكم
يدها من قوة الحق أثر
في خصومات الورى أقوى حكّم
اسمعن مني حديثاً عن وليّ
حينما الذات بعشق تحكّم^{٨٢}
فإذا ما أومأت شقّ القمر
صاغر في حكمها داراً وجّم^{٨٣}
اسمه في الهند مشهور عليّ^{٨٤}

ذلك الصِّداح في المرج القديم قصَّ أخبارًا عن الورد الشميم^{٨٥}
 سالكُ سكران من خمرفته قصد الأسواق في بغيته
 وأتى العاملُ في موكبه معه الحرَّاس قد حقَّتْ به
 صاح للتطريق جنديَّ نكير أيها الأحمق أفسح للأمير
 ومضى الدرويش في تسياره غارقًا في اللجَّ من أفكاره
 فأتى ربُّ العصا في شِرتِه ضاربًا رأس الفتى في غفلته
 فتَنَحَّى عن طريق العامل وهو في نعر وحزن قاتل
 ومضى يشكو إلى شيخ الطريق دَمَعُه من محبس العين طليق
 زمجر الشيخ بقول من ضَرَمَ مثلَ بَرَقٍ في ذُرَى الطود اضطرم
 ثم أَملى الشيخ سطرًا من لَهَبْ قال للكاتب في نار الغضبِ
 أمسك المِزْبَرِ واكتب ذا النذير أبلغ السلطان عن هذا الفقير
 عامل عندك غِرٌّ قد عصا وعلا رأس غلامي بالعصا
 اعزل العامل، هذا الفاجرا أو أَهَبْ مُلْكك مَلَكًا آخرا
 عبد حق فيه لله احتساب أرعد السلطانَ منه ذا الكتاب
 أدُهُ غَمٌّ وخوف لا يحول فحكى في لونه شمس الأصيل
 قيَّد العامل بالقيد الثقيل واستغاث الشيخ للصفح الجميل
 ورأى خُسرو له خير سفير ذلك الكوكب وضاء الضمير^{٨٦}
 ساحر الألباب في ألحانه مستمد الغيب في تبيانه
 ولها خسرو بأوتار الرباب فأهاج الشيخَ وجَدًا وأذاب
 فطرةً كالطود في عزَّتِه خشعت للحن في رقَّتِه

احذرن لا تجرحن قلب فقير

لا تَرُجَّ النفس في نار السعير

قصة في معنى أن مسألة نفي الذات من مخترعات الأمم المغلوبة لتضعف الأمم الغالبة بهذه الطريقة الخفية

قد سمعنا أن في عصر قديم
وَفَزَتْ نَسْلاً بذا المرعى الخصيب
ثم أَلَوَى بِمُنَاهِنٍ الْقَدَرِ
دهمتها الأسدُ من آجامها
آيَةُ الْقُوَّةِ حَكَمَ قَاهِرَ
ضَرْبَ اللَّيْثِ طَبُولَ النُّوبَةِ
وكسى الْمَرْعَى بِصَبْغٍ أَحْمَرَ
جمعَ ضَانٍ كَانَ فِي مَرْعَى يُقِيمُ
فَارِغَاتِ الْبَالِ مِنْ لَيْثٍ وَذَيْبٍ
وَرَمَى بِالسَّهْمِ فِيهِنَّ الدَّهْرَ
ناشِرَاتِ الذَّعْرِ فِي أَيَّامِهَا
سَرُّهَا الظَّاهِرُ فَتَحَ الظَّافِرُ
أَخْذًا آفَاقَ هَذِي الثَّلَاثَةِ^{٨٧}
مَا سَوَى الْفَرَسِ لَدَى أَسَدِ الشَّرَى

* * *

وانبرى كبش ذكِيٌّ ذُو عُمُرٍ
غَمَّهُ مَا قَدْ يِعَانِي سِرْبُهُ
أَمْرَهُ أَحْكَمَ فِي تَدْبِيرِهِ
باحتِيَالِ الْعَقْلِ يَحْمِي نَفْسَهُ
قُوَّةَ التَّدْبِيرِ فِي دَفْعِ الضَّرَرِ
فَإِذَا مَا ثَارَ لِلثَّأْرِ الْجَنُونُ
قَالَ: أَمْرٌ حَارٌ فِيهِ الْعَاقِلُ
كَيْفَ لِلضَّأْنِ قِتَالُ الْأَسَدِ
لَيْسَ وَعَظٌ مِنْ بَلِيغٍ قَادِرًا
لَكِنَّ اللَّيْثَ تَرَاهُ حَمَلًا
فَادَّعَى فِي الْقَوْمِ دَعْوَى مُلْهِمٍ
قَالَ: كُلُّ الْقَوْمِ «كَذَّابٌ أَشْرُ»
جِئْتُ لِلنَّاسِ بِشَرْعٍ مُحْكَمٍ
عَجَّلُوا التَّوْبَةَ عَنْ كُلِّ قَبِيحٍ
وَيْحَ جَلْدٍ أَحْكَمْتُ فِيهِ قَوَاهُ
عَلَفَ الْعُشْبِ بِهِ الرُّوحَ تَطْيِيبُ
حَدَّةُ الْأَسْنَانِ عَارٌ مُبْرَمٍ
جَرَّبَ الْأَحْدَاثَ مِنْ حُلُوٍّ وَمُرٍّ
مِنْ فِعَالِ الْأَسَدِ يَدْمَى قَلْبُهُ
وَهُوَ يَشْكُو الدَّهْرَ فِي تَقْدِيرِهِ
كُلُّ رِخْوٍ لَيْسَ يَرْجُو بِأَسِهِ
فِي زَمَانِ الضَّعْفِ أَقْوَى وَأَمْرٍ
صَارَ عَقْلُ الْعَبْدِ خَلَّاقَ الْفِتُونِ
بَحْرُ غَمٍّ لَيْسَ فِيهِ سَاحِلٌ^{٨٨}
سَاعِدُ رِخْوٍ وَفُولَانُ يَدٍ^{٨٩}
أَنْ يَرِدَّ الْكَبْشَ ذَنْبًا كَاسِرًا
إِنْ سَهَا عَنْ نَفْسِهِ أَوْ غَفَلًا
مُرْسَلٍ لِلْأَسَدِ شُرَابِ الدَّمِ^{٩٠}
غَافِلٌ عَنْ يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمَرٍّ^{٩١}
إِنَّنِّي النُّورُ لَطَرْفُ مُظْلِمٍ
وَاتْرَكُوا الْخُسْرَ إِلَى الْفِعْلِ الرَّبِيحِ
«نَفْيُ الذَّاتِ» هُوَ إِحْكَامُ الْحَيَاةِ^{٩٢}
عَائِفُ اللَّحْمِ إِلَى اللَّهِ قَرِيبُ
بَصَرُ الْإِدْرَاكِ مِنْهَا يُظْلِمُ

خُصَّتِ الجَنَّةُ بالمستضعفين	إنما القوةُ خسرانٌ مَبيِّنُ
خيرُ الفاقَةِ من عزِّ الأميرِ	طلبُ السلطانِ شرٌّ مستطيرُ
وترى البيدرَ منه محرِّقاً ^{٩٣}	تأمن الحبة بَرِّقاً مُحَرِّقاً
لتنال النور من شمس الضحى	ذرةٌ كُنْ لا كَثيباً أَفِيحاً
اذبح النفس بحقِّ تغنم	قُلْ لمن يُزْهِى بذبح الغنم
قوةٌ فيها وسلطانٌ وَجَاهُ	يقطع السُّبُلَ على هذي الحياه
يفتح الأعينَ من بعد الردى ^{٩٤}	يوطأ العُشْبُ فينمو صُعداً
إنما المجنون من لم يُغفل	أَغْفِلْنَ نفسك إمَّا تعقلِ
ليجوز الفكرَ أَقطارَ السما ^{٩٥}	أَسْدُنْ عَيْنًا وَأَذْنَا وفما
إنها وهم فما فيها رجاء	هذه الدنيا فناءً في فناء

* * *

نازعات نحو عيش الدَّعة	كانت الأسدُ جهادًا مَلَّتِ
فدهاها الكبش بالسحر العظيم	عن هوى أصغتُ إلى النصح المُنيمِ
فاقتدت بالضأن في شرِّعتها	كان فرس الضأن من سُنَّتِها
حين صار القوت هذا العلفاً	جوهرُ الأسد أضحى خَزَفًا
أطفأ الأعينَ ترمي بالشرر	ذهب العُشْبُ بنايٍ ذي أَشَرِ
جوهر المرأة فيها صِدْئاً	ذلك القلب عن الصدر نأى
وهُيامُ السعي خَلْفَ الأمل	فدوى في القلب شوق العملِ
والسنا والعز والمجد الأثيلُ	ذهب الإقدام والعزمُ الأليلُ
واستكان القلب في قبر البدن	بُرثن الفولاذ فيها قد وهن
قَطَّعَ الخوف جذور الهمة	ونما الخوف بنقص المُنَّةِ
يجعل الأحياء مثل الرَّمَمِ	كل داء في سقوط الهمم

نامت الأسد بسحر الغنم

سمَّت العجزَ ارتقاء الأمم

في بيان أن أفلاطون اليوناني الذي أثرت آراؤه في تصوف المسلمين وأدابهم كان على هذه الطريقة الغنمية وأن الاحتراز من آرائه واجب

راهبُ الماضين أفلاطُ الحكيم
 طِرفُهُ في ظُلْمَةِ المعقول ضلَّ
 فكرُهُ في غير محسوس فُتِنَ
 قال: في الموت بدا سرُّ الحياة
 حُكمُهُ في فكرنا جدُّ عظيم
 هو شاةٌ في لباس الآدمي
 عالمُ الأشياء سمَّاه الهراء
 فعله «تحليل أجزاء الحياه»
 زعم الخسرانَ ربِّحًا فكرُهُ
 فكرُهُ يُغْفِي ورؤيا يخلُق
 حُرْم المسكين حبَّ العملِ
 منكراً في الكون ما لا يُفقد
 عالمُ الإمكان للحيِّ وطن
 ظَبْيُهُ من خفة لا يَجْفَل
 لم يُلألئْ عنده قطرُ الندى
 حبةٌ في أرضه تأبى النماء
 في وغي العالم نِكْسٌ مُحجِمٌ
 قلبه يَعشو لنارٍ خامدة
 طار من عش إلى الأوج العَلِّي

من فريق الضأن في الدهر القديم
 في حزون الكون قد أعيا وكلَّ
 صدَّ عن كفٍّ وَعَيْنٌ وَأُذُنٌ^{٩٦}
 في خمود الشمع يزداد سَنَاهُ
 يمحَق الدنيا له جامٌ مُنيم
 وهو في الصوفيِّ ذو بأس قويٍّ
 وعلت أفكاره فوق السماء
 وجفاف النبع من ماء الحياه
 ودعا الكونَ فناءً سحرُهُ
 عينه تُبصرُ ألا يَبْرُقُ^{٩٧}
 فقفا معدومَه لا يأتلي
 خالقًا في الكون ما لا يُشْهَد
 عالمُ الأعيان للميت حَسَنُ^{٩٨}
 غيرُ خطَّارٍ لديه الحَجَلُ^{٩٩}
 طيرُهُ ما فيه صوت قد شدا
 وفراشُ عنده يقلبي الضياء^{١٠٠}
 مُشفقٌ راهبُنا لا يُقدِم
 صَوَّرَتْ عيناه دنيا هاجدة
 ثم لم يرجع إلى العش الخلي^{١٠١}

هُلِكَ أَقْوَامٌ بِهَذَا الثَّمَلِ

حَرِّمُوا بِالنَّوْمِ ذَوْقَ الْعَمَلِ

في حقيقة الشعر، وإصلاح الآداب الإسلامية

نارُ هذا الطين من نور الأمل ^{١٠٢}	حرقه الإنسان من كور الأمل
وبه وقدة أنفاس الحياة	إنه الخمرة في كأس الحياة
وإلى التسخير تدعوها المني	الحياة الحق تسخير الدني
وهي للعشق من الحسن رسول	هي للمقصود في الدنيا سبيل
كيف يشجو الحي هذا المزهر؟	أمل الإنسان أني يظهر
هو في بيدائنا نعم الدليل ^{١٠٣}	كل خير وبهيج وجميل
تجد الآمال منه تطلع	حسنة في القلب نور يسطع
وأدام الحسن نور الأمل	خلق الحسن نضير الأمل

* * *

طوره صبح الجمال الباهر	مطلع الحسن ضمير الشاعر
زادت الفطرة حباً صنعته	زادت الحسن جمالا نظرته
ضاء خد الورد من تلوينه	غرّد البلبل من تلحينه
قصص العشاق منه زاهيه	ناره كل فراش كاويه
ألف كون محدث فيه استتر	مضمّر في خلفه بحر وبر
وغناء وبكى لم يسمع ^{١٠٤}	كم شقيق في الحشا لم يطلع
يبدع الحسن، وفي القبح عبي	فكره للبدر والنجم نجى
تزهّر الأكوان من ماء بكاه ^{١٠٥}	خضر في ليله ماء الحياة
ضل ساريننا طريق المنزل	نحن أغرار بطاء الأرجل
وعلت في ركبنا نغمته	لطف في سيرنا حيلته
ويتم الدور في قوس الحياة ^{١٠٦}	يحفز الركب لفردوس الحياة
وشدا الحادي بصوت مؤنس	فمضى الركبان إثر الجرس
مذ سرت في روضنا نسمة	وسرت في زهرنا نفحته
حرة لؤامة لا تصبر	نفس منه حياة تزهر
ناره كالريح تسري في الوري	يأدب الناس جميعاً للقرى

* * *

ويل قوم لهلاك طائرُهُ
كلُّ حُسْنٍ شاةٍ في مرآته
تُذبلُ الأزهارُ منه القُبُلُ
تهن الأعصابُ من أفيونه
يسلب السرو جميل المِيلُ
هو حُوتٌ نصفه كالآدمي
يُسحر الرِّبَانُ منها باللحون
يسلب القلب ثباتًا لحنُّه
يُلْبِسُ النفع لباسَ الضرر
في بحار الفكر يُلقيك فلا
شعره فينا يزيد الكللا
سَيْلٌ برقٍ ما حوى نيسانه
فنه بالحق لا يعترف
نَوَمْتُ أَلحانه يقظتُنَا
بلبلُ سُمِّ قلوب نغمه
خمره اللآلَاءُ اترك واحذر
يا صريعًا خمره يغتبق
يا برود القلب من أَلحانه
يا دليلاً للردى أفكارُهُ
أنت للذلِّ أرحتَ البدنا
من نسيم مَرٍّ يَدْمَى خَدُّكَ
أخزت العِشْقَ دُجَى صيحاتُكَ
شاحبَ الوجه بدا من ضُرِّكَ
عاجزُ الهمة من ذلتكَ
أدمع الأطفال في كاساته
أه من وغدٍ ذليل يائس
صار كالناني هزياً نائحاً

صدَّ عن وِرد حياة شاعرُهُ
في الجسوم السُّمُّ من جَرَعاته
ويَعاف الشدوُّ منها البلبُلُ
ويموت الحيُّ من تلحينه
ويردُّ الصقر مثل الحَجَلِ^{١٠٧}
كبنات البحر تقتاد الغويَّ^{١٠٨}
ولقاع البحر تهوي بالسفين
ويُري الموت حياة فَئنه
ويُري الحسنَ قبيح الصُّور
تشتهيه أو تطيق العملأ^{١٠٩}
كأسه فينا تزيد المللا
آل لَوْنٍ وشذَى بستانه^{١١٠}
بحره ما فيه إلا الصدفُ
أطفأت أنفاسه شعلتنا
ضِغْتُ ورد فيه يثوي أرقمه
كأسه والطاسُ والدُّنْ اهجر
لك صبح من سناها مشرقُ
قد شربت السُّمَّ من تبيانه
عُطِّلْتُ من نغم أوتاره
أنت للإسلام عارٌ في الدُّنَى
بعروق الورد يُلَوِي قَدُّكَ
غَضُّ من صورته بهزادُكا^{١١١}
بردت نيرانه من قُرِّكَ
وعليل الروح من علَّتكَ
كنزه ما اعتدَّ من آهاته
هالك من رَغَلات الحارس^{١١٢}
شاكِي الأقدار جهلاً صائِحاً

ليس إلا الحقدُ في جوهره ليس إلا العجزُ في مخبره
يائس قلُ حليف الخيبة شقوةٌ في خِسةٍ في ذلة^{١١٣}
نوحه روحك منه في سقام قد حمى جيرانه طيبَ المنام
ويح عشق قد ذكا في الحرم ناره باخت ببيت الصنم!

* * *

صيرفني القول! إن تبغ النجاه فاجعلن معياره نارَ الحياه
نيزُ الفكر يقود العملا مثلَ برق قادَ رعدًا جلجلا
من بفكرٍ صالح في الأدب؟ أرجعنُ يا صاحِ شطر العرب^{١١٤}
وسلّمي العُرب يا صاحِ اعشقا لترى صبح الحجاز ائتلقا
في رياض العجم قطفتَ الزهرُ في ربيع الهند سرحت البصر
من حُرور البید فاشرب يا رفيق واشربن من تمرها الراح العتيق
أسلمنُ رأسك يومًا صدرها وألفنُ في حرّها صصرها
قد لبست الخزّ طول الزمنِ فألف الكرباس يومًا واخشنِ
كم وطئتَ الورد في طول المدى غاسلاً، كالورد، خدًا بالندی
فعلى رمل الصحاري المضرمِ أقدمنُ يومًا وغصّ في زمزم
فيم هذا النوحُ مثلَ البلیل؟ وإلام العُشّ بين الظلّل؟
قد علا جدُّ الهما من صيدكا اجعلن في الطود مثوى عشكا^{١١٥}
ابن عُشا حيث لا ترقى الأنوق تختفي فيه رعود وبروق^{١١٦}
لتُرى أهلا لأعصار الحياه
وتُذيب النفس في نار الحياه

في بيان أن التربية الذاتية ثلاث مراحل: الأولى الطاعة والثانية ضبط النفس والثالثة النيابة الإلهية

المرحلة الأولى: الطاعة

شيمة الصبر وَقَارُ الجملِ	أُلْفَةُ الكَدِّ شعَارُ الجملِ
زَوْرَقًا فِي البِيدِ يَسْرِي هَادِيَا	صَامَتَ الْأَخْفَافُ يَمْشِي مَاضِيَا
شَارَدَ النُّومَ قَلِيلًا أَكْلُهُ	نَقَشَتْ وَجَهَ الصَّحَارِي أَرْجُلُهُ
رَاقِصًا يُقَدِّمُ شَطْرَ الْمَنْزِلِ	ثِمَلًا يَخْتَالُ تَحْتَ الْمَحْمَلِ
هَائِمٌ بِالسَّيْرِ، عُجْبًا يَخْطُرُ	فِي الْمَدَى مِنْ رَاكِبِيهِ أَصْبَرُ

* * *

وَارْجَوْنُ مَنْ عِنْدَهُ حَسَنُ الْمَآبِ ^{١١٧}	فَاحْمِلِ الْفَرْضَ قَوِيًّا لَا تَهَابْ
فَمَنْ الْجَبْرِ سَيَبْدُو الْإِخْتِيَارُ ^{١١٨}	اجْهَدْنِ فِي طَاعَةٍ يَا ذَا الْخَسَارِ
وَهَوَى الطَّاعِي وَلَوْ كَانَ اللَّهْبُ	بِامْتِنَالِ الْأَمْرِ يَعْلُو مِنْ رَسْبِ
مَنْ ثَوَى فِي الْقَيْدِ مِنْ شَرْعَتِهِ	سَخَّرَ الْأَفْلَاكَ فِي هِمَّتِهِ
طَوَّعَ قَانُونُ لَهُ قَدْ ذُلُّ لَا	قَدْ سَرَى النُّجْمُ يَوْمَ الْمَنْزَلَا
فَإِذَا مَا حَادٍ يُجْفَى بِالْعِرَاءِ	وَنَمَا الْعَشْبُ بِقَانُونِ النَّمَاءِ
دَمَهُ مِنْ ذَاكَ يَسْرِي فِي الْعُرُوقِ ^{١١٩}	وَلَهَيْبُ دَائِمٍ دِينَ الشَّقِيقِ
فَهِيَ بَحْرٌ وَهِيَ بَرٌّ بِاتِّصَالِ	يَرْبِطُ الذَّرَاتِ قَانُونُ الْوَصَالِ
كَيْفَ فِي هَذَا الْمَعْنَى يُمْتَرَى؟ ^{١٢٠}	كُلُّ شَيْءٍ فِيهِ قَانُونٌ سَرَى
زَيَّنَ رَجْلَكَ بِالْقَيْدِ الْوَسِيمِ	ارْجِعْنِ يَا حُرَّ دُسْتُورٍ قَدِيمِ

شِدَّةً فِي شَرْعِنَا لَا تَشْكُونُ

وَحُدُودَ الْمُصْطَفَى لَا تَعْدُونُ^{١٢١}

المرحلة الثانية: ضبط النفس

جَمَلُ نَفْسِكَ تَرَبُّو بِالْعَلَفِ
فَكُنِ الْحَرَ وَقُدِّهَا بِزِمَامٍ
كُلُّ مَنْ فِي نَفْسِهِ لَا يَحْكُمُ
إِنَّمَا صَوَّرَتْ مِنْ طِينٍ لَزَبُ
خِيفَةُ الدُّنْيَا وَخَوْفُ الْآخِرَةِ
حُبُّ جَاهٍ وَثَرَاءٍ وَبِلْدٍ
مِنْ مَزَاجِ الطِّينِ وَالْمَاءِ الْبَدَنِ
مَنْ يَمَسُّكَ بَعْضًا مِنْ «لَا إِلَهَ»
كُلُّ مَنْ بِالْحَقِّ أَحْيَا نَفْسَهُ
لَيْسَ يَدْنُو الْخَوْفُ مِنْهُ أَبَدًا
كُلُّ مَنْ مَوْطِنُهُ إِقْلِيمٌ «لَا»
مُعَرِّضٌ عَمَّا سِوَى اللَّهِ الْأَحَدِ
وَاحِدٌ مِنْ نَفْسِهِ فِي عَسْكَرِ

فِي إِبَاءٍ وَعِنَادٍ وَصَلَفٍ
تَبْلُغُنْ مِنْ ضَبْطِهَا أَعْلَى مَقَامٍ
هُوَ فِي حُكْمٍ سِوَاهِ مُرْغَمٍ
سَيِّطُ فِي أَمْشَاجِهِ خَوْفٌ وَحَبٌّ
خَوْفُ مَوْتٍ وَرِزَايَا فَاقْرِهِ
حُبُّ زَوْجٍ وَقَرِيبٍ وَوَلَدٍ
مَرَكِبُ الْأَهْوَاءِ، مَغْلُوبُ الْفِتَنِ
فَلْتَحَطِّمْ طَلْسَمَ الْخَوْفِ يَدَاهُ ١٢٢
لَا تَرَى الْبَاطِلَ يُحْنِي رَأْسَهُ
لَيْسَ، غَيْرَ اللَّهِ، يَخْشَى أَحَدًا
مِنْ قَيُودِ الزَّوْجِ وَالْوَلَدِ خَلَا ١٢٣
يَضَعُ السَّكِينِ فِي حَلْقِ الْوَلَدِ ١٢٤
يَبْذُلُ الرُّوحَ بِيَوْمِ الْخَطَرِ

* * *

دُرَّةُ التَّوْحِيدِ، فَاحْفَظْهَا الصَّلَاةَ
فِي يَدِ الْمُسْلِمِ هَذَا الْخَنْجَرُ
يَفْتِكُ الصَّوْمُ بِجُوعٍ وَصَدَى
وَيَنْزِرُ الْحَجَّ قَلْبَ الْمُؤْمِنِ
إِنَّمَا الطَّاعَةُ أَسُّ الْأَمَةِ
بِالزَّكَاةِ الْعَابِدُ الْمَالِ ادَّكُرْ
تُكْثِرُ الْمَالَ، وَشَحًّا تَمَحَقْ
تِلْكَ أَسْبَابُ بِهَا تَسْتَحْكِمُ

حَجُّكَ الْأَصْغَرِ، فَاعْرِفْهَا الصَّلَاةَ
يُقْتَلُ الْفَحْشُ بِهِ وَالْمَنْكَرُ
ضَابِطًا بِالْقِسْطِ هَذَا الْجَسَدُ
هَجْرَةُ الْأَهْلِ بِهِ وَالْوَطَنُ
إِنَّهَا خِيَطُ كِتَابِ الْمِلَّةِ ١٢٥
عَلِّمَتْ حُبَّ الْمَسَاوَاةِ الْبَشَرُ
«لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا»
إِنْ يَكُنْ فِي الْقَلْبِ دِينَ مُحْكَمٌ

اقْوِ يَا مُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْقَوِيَّ

تَحْكُمُنْ فِي ذَلِكَ الْبَكْرِ الْأَبْيَّ ١٢٦

المرحلة الثالثة: النيابة الإلهية

نَافَذَ الْأَمْرَ عَلَيْهِ حَكَمًا^{١٢٧}
فَتَرَى الْمُلْكَ الَّذِي يَخْلُدُ لَكَ
حَكْمُهُ فِي الْكَوْنِ خُلْدٌ لَا يَبِيدُ
وَبِأَمْرِ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ أَمِيرُ
عِزِّهِ، هَذَا الْبَسَاطُ الْبَالِيَا^{١٢٨}
غَيْرَ هَذَا الْكَوْنِ أَكْوَانٌ أُخَرُ^{١٢٩}
يُخْرِجُ الْأَصْنَامَ مِنْ بَيْتِ الْحَرَمِ
يَقْطَعُ فِي الْحَقِّ نَوْمَانُ بِهِ^{١٣٠}
نَاشِرٌ فِي الْكَوْنِ أَلْوَانُ الشَّبَابِ
وَهُوَ جُنْدِيٌّ وَرَاعٌ وَأَمِيرُ
سِرِّ «سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى» هُوَ^{١٣١}
حِينَئِذَا يَمْسُكُ مِنْهُ بِالْعِنَانِ^{١٣٢}
وَهِيَ فِي أَبْدَانِهَا مِثْلُ الرَّمَمِ^{١٣٣}
سَطْوَةٌ فِيهِ نَجَاةُ الْعَالَمِ
قِيَمُ الْأَعْمَالِ مِنْهُ فِي بَدَلِ^{١٣٤}
كَمْ كَلِيمٌ هَامٌ فِي سَيْنَائِهِ!
عَبَّرَ الرُّوْيَا بِتَعْبِيرٍ جَدِيدٍ
نَغْمَةٌ يُضْمَرُ مِزْمَارُ الْحَيَاةِ
لِيَقِيمَ الْوِزْنَ إِذْ أَبْدَعَهُ
فَبَدَا الْفَارِسُ مِنْ هَذَا الْهَبَاءِ^{١٣٥}

إِنْ خَطَمْتَ الصَّعْبَ قَدَتَ الْعَالِمَا
مَشْرِقًا فِي الْأَرْضِ مَا دَارَ الْفَلَكَ
نَائِبُ الْحَقِّ عَلَى الْأَرْضِ سَعِيدُ
هُوَ بِالْجِزْءِ وَبِالْكَلِّ خَبِيرُ
فِي فَسِيحِ الْأَرْضِ يَمْضِي طَاوِيَا
يَنْجَلِي مِنْ فِكْرِهِ مِثْلَ الزَّهْرِ
يُنْضِجُ الْفِكْرَةَ فِينَا بِالضَّرَمِ
رَنْ عَوْدُ الْقَلْبِ مِنْ مُضْرَابِهِ
بَاعَثُ فِي الشَّيْبِ أَلْحَانَ الشَّبَابِ
هُوَ فِي النَّاسِ بِشِيرٍ وَنَذِيرُ
مَقْصِدُ مِنْ «عَلَّمَ الْأَسْمَاءَ» هُوَ
مُحْضِرُ مَنْ تَحْتَهُ طَرْفُ الزَّمَانِ
يَبْعَثُ الْأَرْوَاحَ مِنْهُ قَوْلُ «قُمْ»
ذَاتِهِ تَتَّبِعُ ذَاتَ الْعَالَمِ
يَبْعَثُ الْمَيِّتَ بِإِعْجَازِ الْعَمَلِ
سِيرُهُ يَخْضُرُ فِي بِيدَائِهِ
جَدَّدَ الدُّنْيَا بِتَفْسِيرٍ جَدِيدٍ
كُونُهُ الْمَكْنُونُ أَسْرَارُ الْحَيَاةِ
شَاعَرُ الْفِطْرَةِ عَنَى طَبْعِهِ
نَقَعْنَا ثَارَ إِلَى أَوْجِ السَّمَاءِ

* * *

شُعْلَةٌ يَرْمِي بِهَا الْكَوْنَ الْغُدُّ
ضَاءٌ مِنْ صَبْحِ غِدِّ أَبْصَارُنَا^{١٣٦}
أَنْتَ يَا نُورًا لَعَيْنِ الْمُمْكِنِ
وَتُمْكِنُ فِي سَوَادِ الْأَعْيُنِ
وَامْلَأِ الْأَذَانَ زَهْرَ النِّغَمِ

فِي رَمَادِ الْيَوْمِ مَنَّا تَرْقُدُ
رَوْضَةٌ تُضْمَرُهَا أَكْمَامُنَا
أَنْتَ يَا فَارِسَ طَرْفِ الزَّمَنِ!
مُوكِبَ الْإِنْشَاءِ هَيَّا زَيْنِ
قُمْ فَسْكَنْ مِنْ ضَجِيحِ الْأُمَمِ

جَدَّدَن فِي النَّاسِ قَانُونَ الْإِخَاءِ وَأَدْرِهَا كَأْسَ حُبٍّ وَصَفَاءِ
أَبْلَغَ النَّاسِ رِسَالَاتِ السَّلَامِ وَأَعِدُّ فِي الْأَرْضِ أَيَّامَ الْوِثَامِ
مَنْ بَنَى الْإِنْسَانَ أَنْتَ الْأَمَلُ أَنْتَ مَنْ رَكِبَ الْحَيَاةَ الْمَنْزِلُ
أَذْبَلْتَ كَفُّ الْخَرِيفِ الشَّجَرَا فَاغْدُ فِي الرُّوْضِ رَبِيعًا نَضْرًا
نَحْنُ مَنْ فَيْضُكَ نَسْمُو لِلْقَلْبِ
فِي جِهَادِ الْكُونِ نَمْضِي كَالشُّعْلِ ١٣٧

١٣٨...

يَا أَخَا الْوَرْدَةِ كُنْ صَنَوْ الْحَجْرُ
أَدْمِيًّا صَوْرُنْ مَنْ تُرْبِكَ
أَنْتَ إِنْ كُنْتَ تَرَابًا هَيِّنَا
أَيُّهَا الصَّارِخُ مِنْ جَوْرِ الدَّهْرِ
فِيمَ هَذَا النُّوحِ؟ مَاذَا الْمَأْتَمُ؟
مَضْمَرٌ فِي السَّعْيِ مَضْمُونُ الْحَيَاةِ
قَمِ فَشَيْدَ عَالَمًا دُونَ مَثِيلِ
إِنَّمَا السَّيْرُ عَلَى حُكْمِ الزَّمَانِ
إِنَّمَا الْحَرُّ الشَّجَاعُ الْفِطْنُ
وَإِذَا الدُّنْيَا عَتَتْ عَنْ أَمْرِهِ
يَهْدِمُ الْمَوْجُودَ فِيمَا آثَرَا
يَصْرِفُ الْأَيَّامَ عَنْ كَرَّاتِهَا
خَالِقًا مِنْ قُوَّةٍ فِي قَلْبِهِ
فَإِذَا أَعْوَزَ عَيْشُ الرَّجُلِ
حَبْذَا عَشَقَ بَغَى الْأَمْرِ الْجَلِيلِ
تَتَجَلَّى فِي مِرَاسِ الْمُعْضَلِ
عُدَّةُ الْأَنْذَالِ حَقْدٌ لَا سِوَاهِ
الْحَيَاةُ الْحَقُّ بَأْسٌ يَظْهَرُ

وَكُنِ السُّورَ لِبَيْسْتَانِ الزَّهْرِ ١٣٩
ثُمَّ شَيْدَ عَالَمًا بِدْعًا لِكَا
فَلْيَصُغْ غَيْرُكَ مِنْكَ اللَّيْنَا
يَا زُجَاجًا يَشْتَكِي جَوْرَ الْحَجْرِ
وَالْإِلَامِ الصَّدرُ حَزْنًا تَلِيمِ؟
لَذَّةُ التَّخْلِيْقِ قَانُونُ الْحَيَاةِ
وَحُضُّ النَّارِ وَأَقْدَمُ كَالْخَلِيلِ
هُوَ رَمِيُّ التُّرْسِ فِي وَقْتِ الطَّعَانِ
مَنْ قَفَا الْآثَارَ مِنْهُ الزَّمَنُ
حَارِبُ الدَّهْرِ، وَلَمْ يَعْصِبْ بِهِ
يَمْنَحُ الذَّرَاتِ شَكْلًا آخَرًا ١٤٠
يَمْنَعُ الْأَفْلاكَ مِنْ دَوْرَاتِهَا ١٤١
ذَلِكَ الْعَصْرُ الَّذِي يَرْضَى بِهِ
فَالْحَيَاةُ الْمَوْتُ مَوْتَ الْبَطْلِ
وَجَنَى فِي النَّارِ وَرَدًا كَالْخَلِيلِ
قُوَّةُ كَامِنَةٍ فِي الْبَطْلِ
اسْتَمِعْ يَا صَاحِبَ، ذَا شَرَعَ الْحَيَاةِ
حُبُّ الْإِسْتِيلَاءِ فِيهِ مَضْمَرُ

رَبِّ عَفْوٍ كَانَ مِنْ آفَاتِهَا
يَحْسَبُ الْعَجَزَ قُنُوعًا خَانِعُ
قَاطِعُ سُبُلِ الْحَيَاةِ الْخَوَرُ
قَلْبُهُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ فَارِعُ
فِي كَمِينَ رَاصِدٌ هَذَا اللَّئِيمُ
أَحْذَرْنَ يَا صَاحِبَ مِنْ تَزْيِينِهِ
إِنَّهُ يَخْفَى عَلَى أَهْلِ النَّظَرِ
فِي ثِيَابِ اللَّيْنِ حِينًا يَظْهَرُ
وَهُوَ طَوْرًا فِي ثِيَابِ الْمُجْبَرِ
وَهُوَ حِينًا فِي لِبَاسِ التَّرَفِ
مَا سِوَى الْقُوَّةِ لِلصَّدَقِ دَعَمُ
هِيَ مِنْ حَقْلِ الْحَيَاةِ الْحَاصِلُ
مَدَّعَاهُ فِي غِنَى عَنْ حِجَةِ
تَجْعَلُ الْبَاطِلَ حَقًّا مَآثِلًا
سَطْوَةُ الْقُوَّةِ تُحْلِي مَا أَمَرَ
أَيُّهَا الْغَافِلُ عَمَّا حُمِّلَا
يَكْسِرُ الْمَوْزُونَ مِنْ أَبْيَاتِهَا
لَصُرُوفِ الدَّهْرِ ذَلًّا طَائِعُ
قَلْبُهُ خَوْفًا وَكَذْبًا يَضْمُرُ
لَيْثُهُ فِي كُلِّ خَبْثٍ وَالْغِ
فَاحْذَرْنَ يَا صَاحِبَ الْعَقْلِ السَّلِيمِ
إِنَّهُ الْحَرْبَاءُ فِي تَلْوِينِهِ^{١٤٢}
لَبَسَ الْحَقَّ عَلَيْهِمْ وَاسْتَتَرَ
وَهُوَ حِينًا فِي اتِّضَاعٍ يُسْتَرُ
وَهُوَ طَوْرًا فِي حِجَابِ الْقَدَرِ
يَلْبَسُ الصَّحَّةَ ثَوْبَ الدَّنْفِ
اعْرِفْنَ نَفْسَكَ، هَذَا جَامِ جَمِ^{١٤٣}
فُسِّرَ الْحَقُّ بِهَا وَالْبَاطِلُ
إِنْ تَحَدَّى الْمَدَّعِيَّ بِالْقُوَّةِ
وَهُنَّ الْحَقُّ يُحَقُّ الْبَاطِلَا
إِنْ تَقُلْ لِلْخَيْرِ شَرٌّ فَهُوَ شَرٌّ^{١٤٤}
أَنْتِ فِي الْكَوْنَيْنِ أَعْلَى مَنْزِلَا
افْتَحْنَ عَيْنَا وَأُذُنَا وَفَمَا
تُبْصِرُ الْحَقَّ طَرِيقًا مُعْلَمًا

قصة فتى من مرو جاء إلى السيد المعظم علي الهجويري شاكيا بغى أعدائه^{١٤٥}

مُجْتَبَى هُجُورٍ مَقْصُودُ الْأُمَمِ
قَطَعَ الْأَطْوَادَ وَاجْتَازَ السُّدُودَ
زَمَنُ الْفَارُوقِ مِنْهُ يُشْرِقُ
حَارِسُ الْعِزَّةِ مِنْ أَمِّ الْكِتَابِ
حَيْتُ الْبَنْجَابُ مِنْ أَنْفَاسِهِ
مَنْ رَأَى الْجِشْتِيَّ مَثْوَاهُ الْحَرَمِ^{١٤٦}
بَازِرًا فِي أَرْضِنَا بِذَرِ السَّجُودِ
وَبِهِ لِلْحَقِّ يَعْلُو مَنَاطِقُ
مَعْقِلُ الْبَاطِلِ مِنْهُ فِي تَبَابِ
صُبْحُنَا نَوْرٌ مِنْ نَبْرَاسِهِ

ذا رسولُ العشق، وهو العاشق فيه سرُّ العشق بادِ بارقُ

* * *

قصة أسردها في أسطرٍ
قد أتى لاهورَ من مرو فتى
جاء عند السيد العالي الجناب
قال: إني في عُدّةٍ لؤموا
علمني أيها الشيخ الكبيرُ
فأجاب الشيخ، مَنْ فيه الجمال
أيها الغافلُ عن سرِّ الحياة
حرّرنِ نفسك من يأسٍ وغمٍ
إن رأى النفسَ زجاجاً حَجَرُ
وإذا خارت قواه السائر
كم ترى نفسك طيناً قد حُقر
فيم شكواك الرفيق النافعا
كم عدوٌّ لك، في الحق صديقُ
قوةُ الأعداء فضلًا يَعْلَمُ
يوقظ الخضمَّ قواك الهاجدة
قوة العزم تذيب الحجر
تشحذُ العزمَ عِقَابُ السُّبُلِ
ما حياةٌ دون عزمٍ مُحْكَمٍ؟
زلزل العالمَ وافعل ما ترى
اهجرنِ الذات إن تبغ الفناء
ما الردى؟ أن يدرك الذاتَ الوَسْنَ
يا أخا يوسف في الذات أقمُ
أحكمَنَّ الذات وانهض عاملاً
هاك سرّاً في حديث مؤنسٍ

طاوياً في الكَمِّ روضَ الزهر
قدّه كالسرو عالٍ قد عتا
كاشفاً من نوره عنه الضبابُ
كزجاج بصخور يُصدّم
كيف عيشي بين أعداء كثير
قد تجلّى في إطار من جلال
لا يَميزُ الخيرُ من شر الحياة
أنت بأس نائم، قم لا تنمُ
فهو في الحق، زجاجٌ يُكسر
قطع السُّبُلِ عليه الفاجرُ
شعلة الطور من الطين أثّر
فيم شكواك العدو الخادعا
أنت بالأعداء ذو غُصنٍ وريق
مَنْ مَقَامُ «الذات» حقاً يَفهم
مثل ما تحيي المواتِ الراحدة^{١٤٧}
لا يبالى السيلُ صخرًا إن جرى
امتحان العزم بُعدَ المنزل^{١٤٨}
ما غناء العيش مثل النعم؟
إن حَبَّتْك الذات عزمًا مسعراً
واعمرنِ الذات إن شئت البقاء
أتراه بعد روح وبدن؟^{١٤٩}
ومن السجن إلى الملك استقم^{١٥٠}
ناصرًا للحق، سرّاً حاملاً
أفتح الكَمِّ بحرَ النفس^{١٥١}

حبذا سرُّ حبيب يُضمُرُ

في حديثٍ عن سواه يؤثر^{١٥٢}

قصة الطائر الذي أجهده العطش

طائرٌ من ظمأً قد جهدا
قد رأى ألماسةً مثلَ الندى
خدعته شذرةٌ مثلُ الشرر
لم يجد رِيًّا بضربِ المنقر
قالت الشذرة: جُنِّبَتِ الهدى
لستُ ماءً، لا تراني ساقيه
جاهلٌ يقصد هضمي ما اهتدى
كل منقارٍ بمائي ينكسرُ
ما رأى الطائرُ فيها أربا
حسرة في صدره تتقد

* * *

وأضاءت مثلَ دمع البلبِلِ
لضياء الشمس فيها منة
كوكبٌ يرعد من نسل السماء
غره الأكمام والزهر الخصبُ
قطرةٌ من دمع صب تبهر
فمضى الطائر فيها راغباً
أيها الباغي عدواً تقهر!
حينما الطائر أضناه صдах
كانت الشذرة عضباً يُرهب
قوة الذات احفظنها أبداً
أنضج القطرة كالطود تُرى
أثبتت الذات وفيها حَقَّق
ومن الذات أبين أسرارها
حرّكن عن لحنها أوتارها

قصة الألماس والفحم

قصةٌ أخرى بها أدلي إليك
قال للألماس فحمُ المعدن:
نحن صنوان نمانا والدُّ
وعلى التيجان أنت الزينة
لك حسنٌ في المرايا يسطعُ
من ظلامي قد أضاء المجرمُ
مَوطئُ الأقدام بين البشرِ
إن حالي ببكاء لَحَرى
إنني موج دُخان يُعقدُ
ومن الأنجم فيكي الرونقُ
تارة نور بعيني قيصرا

يفتح الحقُّ بها بابًا عليك:
يا حليفَ النور طول الزمن!
أصلنا في الكون أصلٌ واحدُ
وأنا في التُّرب حظي الذلَّة
وأنا من كفِّ ترب أضيّع
ورمادًا آص فيَّ الجوهر
قد رموا في مهجتي بالشرر
هل ترى أصلي وفصلي هل ترى؟
كلُّ ما فيَّ شرار يَصعدُ
كل جنب فيك نور يشرق
تارة فصُّ يزين الخنجرا

* * *

قال: فاسمع يا رفيقي وافهما
شنَّ فيما حوله حربًا ومرَّ
هيكلي من نضجه قد نورًا
أنت من ضعفِ كيان تنفَق
اهجرنْ خوفًا وغمًّا لا تهنْ
من أجاد السعي والأخذ معًا
وبجر الكعبة انظر حجرا
جاوَزَ الطورَ علاء لا جرم

ينضج التُّربُ فيغدو خاتما
وغدا بالحرب صلبًا كالحجر
وبصدري كم شعاع أسفرا
وبلين في قَوام تُحرق
وانضجنْ كالصخر والألماس كُنْ
فهو في الدارين بدر طلعا
كان من قبلُ ترابًا حُقرًا
ورجت تقبيله كلُّ الأمم

قوةُ الأحياء عزٌّ ونجاة
والوَنَى والذلُّ من ضعف الحياة

قصة الشيخ والبرهمي ومحاوره نهر الجنج وجبل هماليا في معنى دوام حياة الأمة بالتمسك بسنتها

برهميٌّ في بناريِسَ علَمَ
برجال الله يحفَى فعِلُهُ
عقله فوق الثريّا قد علا
فكره العنقاء إمّا حلّقا
كأسه دهرًا خلت من خمرة
في رياض العلم أَلْمَى شَبْكَا
فكره أَدْمَى ولكن لم تنزل
أعربت عن يأسه آهاته
سار يومًا نحو شيخ كامل
لقي الشيخ بنفس راجيه
فأهاب الشيخ: يا خِدْنَ السما
ضقت في الأرض مجالا فعلا
طاوي الأفلاك! في الأرض قُم
لا أقول اهجر غداً أصنامكا
يا أُمِينًا لتراث الأولين!
باجتماع الشمل تحيا الأمة
لم يكمل فيك حتى كفركا
إنَّ إبراهيم فينا هُجِرا
قيسنا ما هام خلف المحمل
إن شمع الذات فينا لانطفاء

غائض في فكر كون وعدم^{١٥٧}
ومن الحكمة وإفِ كِفْلُهُ
ذهنه ماض يحلّ المشكلا
شعلة منها السماك احترقا
قد حماه الرّاح ساقى الحكمة
طائر المعنى به ما أدركا
عُقِدَ الأكوان فيه دون حلّ
وحكت حيرته نظراته
رَبِّ صدر بفؤادِ أهْلِ
تحسن الصمت، وأذن واعيه
اهبطن الأرض وارِعَ الذمما
فكرُك المقدام في أوج العُلا
لا تطرّ تطلب سرَّ الأنجم
كافرٌ أنت فخذ زُنَّاركا
لا تدع نهج الجدود الأقدمين
وكذاك الكفر فيه وحدة
ليس أهلاً لفؤاد صدركا
وبَعْدْتُمْ أنتم عن آزرا^{١٥٨}
في جنون العشق لمّا يكمل
كيف يُجدينا طواف في السماء

* * *

جاش نهر الجنج يومًا جائلا
حاملًا من برَدٍ أوقاره!
صاغك الحق نجياً للسماء
قُيِّدَتِ رجلك عن سير فما

في سفوح من همالا قائلًا
عاقداً من أنهر زُنَّاره!^{١٥٩}
وحمي رجلك سيرًا في العراء
هيبةً فيك ورأس قد سما؟

إنما العيش مَسِيرٌ وَصِلَا
 غضب الطودُ لقول النهر
 قال: يا مرآة وجهي! ويلكا
 إن هذا السير فيه الحين لك
 بمقام لك هلاً تأبه!
 يا وليد الفلك المرتفع!
 قد وهبت النفس بحرًا غاصبًا
 كن كورد في رُباه عاكف
 إنما العيشُ نماءً في المكان
 في دهور لم تُزحزح أرجلي
 وإلى الأفلاك قَدِّي يصعد
 أنت تَفنى في خضم خُضرم
 وبعيني لاح سرُّ الفلك
 وبنار الجِدِّ طولَ الدهر
 صخرٌ قلبي وناري في الصخر
 قطرةٌ إن كنت فاحفظ نفسكا
 وابتغِ النور وكن درًّا يُضيءُ
 أو فزد واعلُ سحابًا ممطرًا
 يبسط البحرُ لجداك يدا
 وحياءُ الموج في أن يجفلا
 فرمت أنفاسه بالشرر
 كم حوى صدري بخارًا مثلكا
 من يزل عن نفسه يومًا هلك
 أفخارُ بالردى يا أبله!
 صرتَ دون الساحل المتّضع
 قد أبحت الروح لصًا سالبًا
 لا تَرُم للريح كفّ القاطف^{١٦٠}
 وبروض الذات قطفُ الأقحوان
 أتراني زائلًا عن منزلي؟
 فعلى سفحي الثريا ترقد
 وقلالي مَسْجِدٌ للأنجم
 وبسمعي طيرانُ الملك
 قد حوى صدري صنوف الجواهر
 ليس للماء إلى ناري ممرٌ^{١٦١}
 جاهد الأمواج واجنبُ يأسكا
 ثم كن قُرطًا على وجه وضيء
 يُشعل البرق ويهمي أبحرا^{١٦٢}
 شاكيًا من فاقة يرجو الندى

فهو في فيضك دون الموجة
 وهو في جدواك بادي الدَّلَّة

في بيان أن حياة المسلم لإعلاء كلمة الله وإن كان الباعث على الجهاد
 «جوع الأرض» فهو حرام في شريعة الإسلام

صبغة الله أنز في قلبكا
 إنما المسلم بالحب قهر
 والهوى والصيت دع في حبكا
 مُسلم لا حب فيه قد كفر

وله في الحق نومٌ وسَهَرٌ
كيف يرضى الناس هذا الادعاء؟^{١٦٣}
وعلى الناس جميعاً شهدا
شاهدٌ أَصْدَقُ كُلِّ الشَّاهِدِينَ
وَأَضْيُّ بِالْحَقِّ لَيْلَ الْعَمَلِ
ذَاكَرًا لِلَّهِ يَقْظَانَ الضَّمِيرِ
يَسْطَعُنْ فَيْكَ مِنَ الْحَقِّ جَلال
شَرُّ السَّلْمِ إِذَا رُمْتَ سِوَاهُ
اكَتَسَى فِي الْحَرْبِ عَارًا صَفْنَا

غَضُّ بِالْحَقِّ، وبِالْحَقِّ نَظَرٌ
في رضاه لرضا الحق فناء
في رُبَى التَّوْحِيدِ أَرْسَى الْعَمَدَا
وعليه يشهد الداعي الأمين
فَدَعَ الْقَالَ إِلَى الْحَالِ الْجَلِيِّ
وَكُنْ الدَّرَوِيْشَ فِي زِيِّ الْأَمِيرِ
وَأَقْصِدَنَّ الْحَقَّ فِي كُلِّ الْفِعَالِ
خَيْرُ الْحَرْبِ إِذَا رُمْتَ إِلَهَهُ
نَحْنُ إِنْ لَمْ يُعَلِّحْ حَقًّا سَيْفُنَا

* * *

مِنْ سَنَاهُ كُلِّ سِرٍّ يَنْجَلِي^{١٦٤}
مِزْهَرَ الْعَشْقِ بِحَقِّ عَزْفَا
مَشْعَلُ النُّورِ عَلَى بِلْدَانِنَا
كَانَ مَلِكُ الْهِنْدِ مِنْ طُلَّابِهِ
طَالِبًا فِي حَرْصِهِ فَتَحَ الْبِلَادُ
مُقَرَّنًا «هَلْ مِنْ مَزِيدٍ» غَضِبَهُ^{١٦٥}
وَتَوَالَى الْفَتْحُ فِي أَرْضِ الدِّكَنِ
يُحْكَمُ التَّدْبِيرُ مِنْهُ بِالْإِدْعَاءِ
رَاجِيًا مِنْهُ دَعَاءَ الظَّفَرِ
وَصَغَى كُلُّ مَرِيدٍ سَالِكِ
أَمْسَكَتْ إِحْدَى يَدَيْهِ دَرْهَمًا
أَنْتَ لِلْمَسْكِينِ بِالْحَقِّ نَصِيرُ
قَبْلَ أَنْ تَمْسِكَ كَفِي الدَّرْهَمَا
سَائِلُ فِي حِلَّةِ الْمُلْكِ بَدَا^{١٦٦}
وَعَلَى الشَّمْسِ تَوَلَّى وَالْقَمَرِ
عَيْنُهُ فَوْقَ سَمَاطِ الْأَخْرَيْنِ
نَفْسُهُ يَبْنِي وَيُرْدِي عَالَمًا

شَيْخَنَا الشَّيْخَ «مِيَا نَمِيرُ» الْوَلِيَّ
كَانَ ثُبَّتًا فِي طَرِيقِ الْمُصْطَفَى
قَبْرُهُ الْإِيمَانُ فِي أَوْطَانِنَا
سَجَدَ النُّجُومُ عَلَى أَعْتَابِهِ
غَرَسَ الْمَلِكُ هَوَاهُ فِي الْفَوَازِ
بِالْهَوَى أَضْرَمَ نَارًا قَلْبَهُ
دَوَّخَتْ أَجْنَادُهُ كُلَّ وَطْنِ
دَيَدَنُ الْمُسْلِمِ لِلْحَقِّ التَّجَاءِ
قَصَدَ الشَّيْخَ الْعَلِيَّ الْقَدَرِ
صَمَتَ الشَّيْخُ لِقَوْلِ الْمَالِكِ
قَطَعَ الصَّمْتَ مَرِيدٌ أَقْدَمَا
قَالَ: مَوْلَايَ! اقْبَلِ النَّذْرَ الْحَقِيرُ
عَرَقَنِي مِنْ كُلِّ عَضْوٍ قَدْ هَمَى
قَالَ: سُلْطَانِي بِهِ أَوْلَى يَدَا
مَلَكُنَا أَفْقَرُ مِنْ كُلِّ الْبَشَرِ
جَوْعُهُ بِالنَّارِ يُصْلِي الْعَالَمِينَ
سَيْفُهُ بِالْقَحْطِ وَالْمَوْتِ رَمَى

ضجبت الأقوام من فقر لديهِ شقى المسكينُ من جوع يديه
حكمه في الناس شرُّ وأشر قطع الطُّرُقَ على رُكْب البشرِ
بخداع النفس والجهل دعا نهبِه فتحًا، وبئس المدعى
عسكرُ الملك وما قد أسروا بسيوف الجوع منه شذرُ
غصّة السائل جوعُ السائل وخراب المُلك جوعُ الدائل^{١٦٧}
من لغير الله سلَّ المُعمدا
سيفه في صدره قد أغمدا

نصيحة مبرنجة النقشبندي المعروف باباي صحراني «الأب الصراوي» التي كتبها لمسلمي الهند

أنت كالورد من الأرض بدا من ضمير الذات نلتَ المولدا
لا تَعَدَّ الذات واخلد أبدا قطرةً كُنْ واشرب البحر صدًى^{١٦٨}
إنما الربح بهذي الثروة والغنى في حفظ هذي السلعة
أنت موجود وفي خوف العدم يا أسير الوهم أخطأت الفهم
عندي الخبز بأوتار الحياة سأنبئك بأسرار الحياة
غوصة في النفس غوص الدرة وظهورٌ بعد هذي الخلوة
هي جمعٌ من رمادٍ شررا واشتعالٌ بعدُ يُعشي البصرا
هي حول الذات طوفٌ فاعلم واجعلنَ نفسك بيتَ الحرَم
حلَّقنُ في اللوح عن جذب التراب من هويٍّ لا تخف، مثل العقاب
أنت إن لم تك طيرًا ويحكا فعن الغار فأبعد عُشكا^{١٦٩}
أيها الجاهد في كسب العلوم عن إمام الروم خذ نصحَ الحكيم
إنما العلم لدى الجسم شقاء وهو في القلب دواء وشفاء^{١٧٠}
قصة الرومي تقضي بالعجب: كان فيضًا من علوم في حلب
وعلى رجليه للعقل قيود في ظلام العقل بالفلك يرود
هو موسى دون طور يُشرق ما درى ما العشق أو من يعشق
وعن الإشراق والشك حكى ومن الحكمة درًا سلكا^{١٧١}

وعن المَشَاء^{١٧٢} حلَّ العقدَا كلُّ خاف من سناه قد بدا
وحوالِيه صِوانُ الكتبِ وعلى فيه بيانُ الكتبِ

* * *

أَمْ يَوْمًا مَكْتَبَ الْمُلا جَلالُ شيخُ تبريز بأمر من كمال^{١٧٣}
قال: ماذا القال والقيْلُ وما من قياس ودليل أوْهُما
صرخ الرومي: مهلاً يا جهول لا تهوّن من مقالات العقول
اخرُجن من مكتبي يا أبله قالنا والقيْلُ أنّى تفقه؟
قالنا أرفعُ مما تعقل سُرجُ الإدراك منه تُشعلُ
نار شمس الدين زادت حُرْقًا فرمى من روحه ما أحرقا
فاستطار البرقُ من نظرتِه وتلظى التُّرْبُ من شُعلتِه
فإذا الإدراك من نار القلوب محرقٌ والكتبُ منها في لهيبُ
جهل الرومي عشقًا أُضرمَا ما درت أوتاره ذا النغما
قال: هذي النار ما قصتها؟ أحرقت أسفارنا وقَدتها
قال شمس الدين يا ذا المسلم! نوقنا والحال أنّى تعلّم؟
حالنا أرفعُ مما تُفكرُ ولظانا الكيمياءُ الأحمر^{١٧٤}

* * *

تجمع الحكمةَ زادًا بردًا فسحاب الفكر يهمني بردًا^{١٧٥}
من هشيم فيك أذكِ اللهبَا من تراب فيك أطلع شُهبا
من لهيب القلبِ علمُ الكامل مقصدُ الإسلام ترك الآفل^{١٧٦}
صدَّ إبراهيم عما يَأْفُلُ فحوته كالجنان الشُّعل^{١٧٧}
قد نبذت الدين ظهريًا وما تبتغي بالدين إلا الدرهما
أيها الساعي لكُحلُ المُقل غافلا عمًا به من كَحَل^{١٧٨}
من فم التنّين فابغ الكوثرَا واسألنْ ماء الحياة الخنجرا^{١٧٩}
حجرَ الكعبة من بيت الوثنِ التمس والمسك في الكلب اطلبن
طفئِ العشق بعلم الحاضر لا تؤمِّلْ كَأْسَ هذا الكافر
قد براني السعي في كل بعيدُ وعرفت السرَّ في العلم الجديدُ
وحباني سرَّ هذي الجنّة قيّمُ البستان بعد الخبرة

علمُ ذا العصر حجابٌ أكبرُ
من حدود الحسِّ لا ينطلقُ
زلقت رجلاه في سُبُل الحياة
كشقيق فيه نار هامده
من لهيب العشق تخلو فطرته
عللُ العقل لها العشق دواء
سجد العالمُ للعشق الجليل
جامه من نشوة الراح خلا
يعبد الوثنَ وفيها يتجر
وله الظاهرُ سجنٌ مغلقُ
وضعت في حلقه السيفَ يداهُ
شعلة كالطل فيه بارده^{١٨٠}
في طلابِ الحق تبدو خيبته
مبضعُ العشق لدى العقل شفاءً
هو محمودٌ لأصنام العقول^{١٨١}
ليله عن وجد «يا رب» سلا^{١٨٢}

* * *

سروك الباسق قد أغفلته
أنت كالنאי خلي من جواك
تبتغي نفسك في سوق سواك
من سراج الناس نادينا استعر
ظبيننا خاف سواد الكعبة
ورق الورد كالعرف انتشر
يا أمين السر من أم الكتاب
نحن حراس حصون الأمة
أكؤس الساقى أراها كسرا
تعمر الكعبة من أصنامنا
شيخنا باع الدمي ملته
شيخ الشيخ بياض الشعر
قلبه بيت لأصنام هواه
يلبس الخرقة من يرخي الشعر
بمريديه أدام السفرا
أعين عمي حكاها النرجس
عبد الأشياء فينا المنصب
واعظ عيناه شطر الوثن
كلُّ سرو غيره أكبرته^{١٨٣}
بلحون الناس أعليت صدك
وسماط الناس تجدوه يدك
أحرق المسجد من دير شرر
فرماه صائد في الثغرة^{١٨٤}
جافلا من نفسه! عد للمقر^{١٨٥}
هل إلى وحدة ماضينا إياب؟
كفرنا ترك شعار الملة
حفل ندمان الحجاز انتشرا
يضحك الكفر على إسلامنا^{١٨٦}
جاعلا زُناره سُبْحته^{١٨٧}
وهو للأطفال مثل السخر^{١٨٨}
فهو صفر مقفر من «لا إله»^{١٨٩}
آه! للتاجر بالدين اتجر
في هدى أمته ما فگرا
وصدور من قلوب تفلِس
حُرمة الأمة منهم تذهب
وفتاوى تشتري بالثمن

وَجْهَهُ لِلْحَانَ وَلَّى شَيْخُنَا
يَا رِفَاقِي بَعْدُ مَا تَدْبِيرُنَا^{١٩٠}

الوقت سيف^{١٩١}

نَضَّرَ اللَّهُ تَرَابَ الشَّافِعِيِّ
فَكَرِهَ قَدْ صَادَ نَجْمًا لَامِعًا
فَاتَ خَوْفًا وَرَجَاءً صَاحِبُهُ
تُغْدِقُ الصَّخْرَةَ مِنْ ضَرْبَتِهِ
كَانَ هَذَا السَّيْفُ فِي كَفِّ الْكَلِيمِ
شَقَّ صَدْرَ الْبَحْرِ لَمَعَ الْقَبَسِ
وَبِهَذَا السَّيْفِ يَوْمَ الْخَطَرِ
سَحَرَ الْأَلْبَابَ هَذَا الْأَلْمَعِيُّ
حِينَ سَمَّى الْوَقْتَ سَيْفًا قَاطِعًا
كَفَّهُ كَفُّ كَلِيمٍ، ضَارِبُهُ
وَيَغِيضُ الْبَحْرَ مِنْ صَوْلَتِهِ
فَشَأَى التَّدْبِيرَ بِالْعِزِّ الصَّمِيمِ
صَيَّرَ الْقَلْزَمَ مِثْلَ الْيَبَسِ
زَلْزَلَتْ خَيْبَرَ كَفُّ الْحَيْدَرِ^{١٩٢}

مِمَّكَنَ إِبْصَارُ دَوْرِ الْفَلَكَ
يَا أُسِيرَ الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ انظُرَا^{١٩٣}
أَنْتَ فِي النَّفْسِ بِذَرْتَ الْبَاطِلَا
وَذَرَعْتَ الْوَقْتَ طَوْلًا، لِلشَّقَاءِ
وَجَعَلْتَ الْخَيْطَ زُنَّارًا لَكَ
صِرْتَ يَا إِكْسِيرُ تُرْبًا سَافِلَا
اقْطَعْ الزَّنَارَ حَرًّا لَا تَهْنُ
إِيَّاهُ يَا غَافِلُ عَنْ أَصْلِ الزَّمَانِ
يَا أُسِيرَ الصَّبْحِ وَالْمُسَى اعْقِلُنْ
كُلَّ مَا يَظْهَرُ، مِنْ تَسْيَارِهِ
مَا مِنْ الشَّمْسِ أَرَاهُ يَوْجَدُ
وَبِهِ الشَّمْسُ أَضَاءَتِ وَالْقَمَرُ
قَدْ بَسَطْتَ الْوَقْتَ بَسْطًا كَالْمَكَانِ
يَا شَذَى قَدْ فَرَّ مِنْ بَسْتَانِهِ
وَتَوَالِي نُورِهِ وَالْحَلَكِ
انْظُرْنِ فِي الْقَلْبِ كَوْنًا سُتْرَا
وَحَسِبْتَ الْوَقْتَ خَطًّا طَائِلَا
بِذِرَاعٍ مِنْ صَبَاحٍ وَمَسَاءٍ
صِرْتَ لِلْأَصْنَامِ نَدًّا وَيَلَكَا
يَا وَلِيدَ الْحَقِّ صِرْتَ الْبَاطِلَا
شَمْعَةً فِي مَحْفَلِ الْأَحْرَارِ كُنْ
كَيْفَ تَدْرِي مَا خُلُودُ الْحَيَوَانِ^{١٩٤}
«لِي مَعَ اللَّهِ» بِهَا الْوَقْتُ اعْرِفْنِ^{١٩٥}
وَالْحَيَاةَ السَّرَّ مِنْ أَسْرَارِهِ^{١٩٦}
إِنَّهَا تَفْنَى وَهَذَا يَخْلُدُ
وَبِهِ فِي الْعَيْشِ مَا سَاءَ وَسَرَّ
وَفَرَّقْتَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْسِ الزَّمَانِ
وَحَبِيسَ السَّجْنِ مِنْ بَنِيَانِهِ^{١٩٧}

وقتنا بين الحنايا سافرُ ليس فيه أول أو آخر
الحياة الدهر يا من عرفا «لا تسبوا الدهر» قول المصطفى

* * *

نكتة كالدُر خذها رائقة بين حرٍّ ورقيق فارقه
حيرة العبد مسيرُ الزمنِ حيرة الأزمان قلبُ المؤمن
ينسج العبدُ عليه كفنا من صباحٍ ومساءٍ مُدعنا
وترى الحرَّ من الطين نجا نفسه حول الليالي نسجا
قفصُ العبد صباحٌ ومساءً يُحرّم التحليقَ في جوِّ السماء
وبصدر الحرِّ ثار النفسُ طائر الأيام فيه يُحبس
فطرة العبد حُصولُ الحاصلِ ليس في تفكيره من طائل
في مقام من همودٍ راكدُ نوحه ليلاً وصباحاً واحدُ
ومن الحرِّ جديد الخلقة كلَّ حين، وحديثُ النُغمة
قيّد العبدَ صباح ومساءً وثوى في فمه لفظ القضاء^{١٩٨}
وأرى الحرَّ مُشيرًا للقدَر صوّرت كفاه أحداث الدهر^{١٩٩}
عنده الماضي التقى والقابل عاجل بين يديه الآجل^{٢٠٠}

* * *

ضاقَ عن معنَي حرفٍ وصدى عجز الإدراك في هذا المدى
قلت، واللفظ من المعنى خجلُ وشكا المعنى من اللفظ المجلُ
مات معنى في حروف يُحبس ناره يُخمدُ منك النفسُ
سرٌّ غيب وحضور في القلوبِ رمز وقت ومرور في القلوبِ^{٢٠١}
إنَّ للوقتِ للحنًا صامتًا وله في القلب سرًّا خافتًا^{٢٠٢}
أين أيام بها سيفُ الدهر صرّفته في أيادينا القدر!^{٢٠٣}
قد غرسنا الدين في أرض القلوب وجلونا الحق من ستر الغيوب
ومن الدنيا حللنا العُقدا واستنار الثربُ منّا سُجدا
من دنان الحق صرّفنا الرحيق وهدمنا حانة العصر العتيق
يا مدير الراح في أضوائها ومُذيبَ الكأس من لآئها^{٢٠٤}
من غرور واختيال تسكر ومن الفقر لدينا تسخر!

كَأَسْنَا كَانَتْ سِرَاجَ الْمُحْفِلِ	صَدُرْنَا كَانَ لِقَلْبٍ مُشْعَلِ
إِنْ هَذَا الْعَصْرُ مِنْ آثَارِنَا	مِنْ عَجَاجِ ثَارٍ فِي تَسْيَارِنَا
رَوْضَةُ الْحَقِّ ارْتَوَتْ مِنْ دَمِنَا	عَزَّ أَهْلُ الْحَقِّ فِي الدُّنْيَا بِنَا
كَبَّرَ الْعَالَمُ مِنْ تَكْبِيرِنَا	كَعْبَاتٍ شَادَ مِنْ تَعْمِيرِنَا
اقْرَأْ» الْحَقُّ لَنَا قَدْ عَلَّمَا	بِيَدِينَا رِزْقَهُ قَدْ قَسَّمَا ^{٢٠٥}
لَا تَهَوَّنْ قَدْرَ حَرٍّ أَعْدَمَا	أَنْ تَرَى التَّاجَ مَضَى وَالْخَاتَمَا
إِنْ نَكُنْ عِنْدَكَ أَصْحَابُ الْخَسَارِ	قُدَمَا» الْفِكْرَ أَحْلَافَ الصَّغَارِ
فَلدِينَا عِزَّةٌ مِنْ «لَا إِلَهَ»	نَحْنُ لِلْكَوْنَيْنِ حُرَّاسُ أَبَاهُ
قَدْ تَرَكْنَا غَمًّا أَمْسٍ وَغَدِ	وَوَفِينَا لِحَبِيبٍ أَوْحِدِ
نَحْنُ وَرَأَتْ هِدَاةً لِلْبَشَرِ	نَحْنُ عِنْدَ الْحَقِّ سِرٌّ مَذْخَرِ
لَا تَزَالِ الشَّمْسُ تُبْدِي نُورَنَا	غَيْمِنَا فِيهِ بَرُوقٌ وَسَنَا
ذَاتِنَا الْمَرْأَةَ لِلْحَقِّ، اَعْلَمْ	
آيَةُ الْحَقِّ وَجُودِ الْمُسْلِمِ	

دَعَاءُ

أَنْتَ فِي الْكَوْنِ كَرُوحٍ مُسْتَسِرٍّ	رُوحُنَا أَنْتَ، وَمِنَّا تَسْتَتِرُ ^{٢٠٦}
مِنْكَ فِيهِ نَغْمَةُ عُودِ الْحَيَاةِ	فِي هَوَاكَ، الْمَوْتُ مُحْسُودُ الْحَيَاةِ
عُدْ فَسَكَّنْ ذِي الْقُلُوبِ الْبَائِسَةَ	عُدْ فَعَمَّرْ ذِي الصُّدُورِ الْيَائِسَةَ
عُدْ فَكَلَّفْنَا الْفَعَالَ الْمَاجِدَا	أَلْهَبَنَّ الْعِشْقَ فِينَا الْخَامِدَا
إِنَّا نَشْكُو تَصَارِيفَ الْقَضَاءِ	أَنْتَ تُغْلِي السَّعَرَ وَالْأَيْدِي خَلَاءِ ^{٢٠٧}
عَنْ فَقِيرٍ لَا تَحْجُبُ ذَا الْجَمَالِ	عِشْقَ سَلْمَانَ أَمْنَحْنَا وَبِلَالِ
عَيْنَ سُهْدٍ لِفَوَادٍ قَلِقِ	أَمْنَحْنَا وَاضْطَرَّابَ الزَّبَبِ
آيَةُ أَظْهَرَ مِنَ الْآيِ الْمُبِينِ	لَنَرَى أَعْنَاقَ قَوْمٍ خَاضِعِينَ ^{٢٠٨}
أَظْهَرَ الْبَرْكَانِ مِنْ أَعْوَادِنَا	وَامْحُ غَيْرَ اللَّهِ فِي نِيرَانِنَا
كَفُنَا أَلْقَتْ بِخِيَطِ الْوَحْدَةِ	كَمْ تَرَى فِي أَمْرِنَا مِنْ عُقْدَةٍ؟ ^{٢٠٩}
قَدْ مَضَيْنَا كَنَجُومٍ حَائِرَةٍ	إِخْوَةً لَكِنْ وَجْوهَ نَافِرَةٍ

انظَمْنُ في السلك هذا الورقا جَدَدْن سَنَّة حُبِّ أَخْلَقَا^{٢١٠}
 ابْعَثْنَا مِثْلَ مَا كُنَّا لَكَ ائْتَمْن فِيمَا تَرَى أَحْبَابَكَ
 مَنْزَلَ التَّسْلِيمِ أَبْلَغَ رَكْبَنَا عَزَمَ إِبْرَاهِيمَ يَسْرَهُ لَنَا
 عَلَّمَنَّ الْعَشَقَ مِنْ أَفْعَالِ «لَا» رَمَزَ إِلَّا اللَّهَ عِلْمَ غَافِلَا^{٢١١}

* * *

أَنَا كَالشَّمْعِ لَغِيرِي أُحْرِقُ وَبِدْمَعِي كُلُّ حَفْلٍ يَشْرِقُ
 رَبِّ! هَذَا الدَّمْعُ نَوْرٌ فِي الْقُلُوبِ ذُو هَيَاجٍ وَاضْطِرَابٍ وَنَحِيبِ
 أَبْذُرُ الدَّمْعَ فَتَنْمُو شَعْلُ نَارِ شَقْرِ الرُّوضِ مِنْهَا تَنْصِلُ^{٢١٢}
 أَمْسِ فِي قَلْبِي، وَعَيْنَايَ الْغَدِ أَنَا فِي الْجَمْعِ فَرِيدٌ مُوَحَّدُ^{٢١٣}
 ظَنُّ كُلِّ أَنَّنِي نَعَمَ السَّمِيرِ لَيْسَ يَدْرِي أَيُّ سَرٍّ فِي الضَّمِيرِ^{٢١٤}
 أَيْنَ يَا رَبَّاهُ فِي الدُّنْيَا النَّدِيمِ نَخْلُ سَيْنَاءَ أَنَا، أَيْنَ الْكَلِيمِ؟
 ظَالِمٌ نَفْسِي فَكَمْ عَنِّيْتُهَا شَعْلًا فِي صَدْرِهَا أَذْكِيْتُهَا
 شَعْلًا لِلْحَسِّ تَذَرُو مَا بِهِ وَتَشَبُّ النَّارِ فِي أَثْوَابِهِ^{٢١٥}
 وَبِهَا الْعَقْلُ جَنُونًا عُلِّمًا وَبِهَا أُحْرِقُ مَا قَدْ عُلِّمًا^{٢١٦}
 قَدْ عَلَتْ مِنْ حَرِّهَا شَمْسُ السَّمَاءِ حَوْلَهَا لِلْبَرْقِ طُوفٌ فِي الْفَضَاءِ
 كُلُّ عِرْقٍ فِي نَارًا يَقْطُرُ شُعْلًا يَنْبُتُ فِي الشَّعْرِ
 بَلْبَلِي يَلْقَطُ هَذَا الشَّرَّارَ فَتَرَاهُ نَغْمًا مُسْتَعْرَا
 صَدْرُ عَصْرِي مَا بِقَلْبٍ يُوْهَلُ نَوْحُ قَيْسٍ حِينَ يَخْلُو الْمَحْمَلِ^{٢١٧}
 يَخْفِقُ الشَّمْعُ وَحِيدًا وَيَلْهُ فِي فَرَّاشٍ لَا يَرَى أَهْلًا لَهُ^{٢١٨}
 كَمْ أَرْجِي مُسْعِدًا لِي فِي الْبَشَرِ وَنَجِيًّا كَمْ أَرْجِي فِي الدَّهْرِ

* * *

يَا مَنْ الْأَنْجَمُ مِنْهُ تَسْتَنِيرُ! أَرْجِعْ نَارَكَ مِنْ رُوحِي الْكَسِيرِ
 اسْلُبْ نَفْسِي مَا أَوْدَعْتُهَا عَطِّلْ مِنْ نُورِهَا مَرَاتَهَا
 أَوْ فَهَبْ لِي وَجَهَ خَلٍّ لَبِيقِ هُوَ مَرَاةٌ لِعَشَقٍ مُحْرِقِ

* * *

يَخْفِقُ الْمَوْجُ بِمَوْجِ فِي الْعُبَابِ لَا يَسِيرُ الْمَوْجُ إِلَّا فِي صِحَابِ

ومع الكوكب يَسْرِي الكوكبُ وعلى الأقمار يحنو الغَيْهَبُ
ومع الليل نهار أبداً ومَسِيرُ اليومِ يقتاد غداً
نَهراً، أَبْصِرْ، يَفْنَى في نَهْرٍ ونسيمَ الروضِ في عَرْفِ الزَّهْرِ
رُبَّ حانٍ أَهْلٍ من شَرِبِهِ راقصَ المجنونَ مجنوناً به
أنت يا واحدٌ لا شبهَ لكَا عالماً أنشأته من أجلكَا
وأنا مثلُ شقيقاتِ الفَلا مفردٌ، في بُهرةِ الجمعِ خَلا^{٢١٩}
هَبْ نجياً يا وَلِيَّ النعمة مَحَرَمًا يُدرك ما في فطرتي
هَبْ نجياً لَقِنَا ذا جِنَّة ليس بالدنيا له من صلة^{٢٢٠}
رُوحَه أودِع من أناتِيهِ وأرى في قلبه مرآتيه
وأُسُوِيهِ بطيني مُحَكِّمًا
وأرى آزرَه والصنما^{٢٢١}

هوامش

- (١) حيدر علي بن أبي طالب، ورستم من أبطال الفرس.
(٢)

نیست درخشك و تربیشه من کوتاهی چوب هر نخل كه منبر نشوه داركنم

(٣) جام جم: أي كأس جمشيد، وفي أساطير الفرس أن الملك جمشيد كان عنده كأس يرى فيها الأقاليم السبعة، وفي هذا البيت وما بعده يقول الشاعر: إنه يرى الغائب، ويدرك ما لم يخلق.

(٤) جني الورد الذي لم يظهر من شجره، علم أنه سيظهر دون ريب، وأنه سيجنيه، فكأنه قد جناه.

(٥) لم يغش ضوئي النجوم، ولم يضطرب شعاعي في الأعين اضطراب الزئبق.

(٦) حبذا من صلى بناري وزمزم حولها كالمجوس.

(٧) هو صوت شاعر الغد، ليس صوتاً للزمن الحاضر.

(٨) أفكاري لا يفهمها هذا العصر، إنها جميلة جمال يوسف، ولكن ليس في هذه السوق من يشتريها.

- (٩) يائس ممن عرف من الناس، وهو يرجو أن يأتي إليه كليم يفقه عنه، كما ذهب موسى الكليم إلى الطور.
- (١٠) قال: إنه شاعر المستقبل لا الحاضر، فقال: كثير من الشعراء لم يعرف قدرهم إلا بعد الموت.
- (١١) هو لحن لا يطيقه وتر، وهو لا يبالي أن يقطع أوتاره في إظهار هذا اللحن، لا يبالي أن يموت في الإعراب عن هذا الوجد.
- (١٢) الزهرة التي لا تنمو حتى تصير روضة ليست أهلاً لمطره.
- (١٣) جمع قنة، وهي قمة الجبل.
- (١٤) العين الأولى عين الماء، والثانية عين الشيء أي نفسه، وكلمة الحياة رديف.
- (١٥) يعني جلال الدين محمد بن الحسين البلخي البكري المعروف باسم جلال الدين الرومي، ناظم المثنوي، والشاعر يعترف بإمامته، ويكرر ذكره.
- (١٦) الفراش والشمع مثل للمحب والحبيب؛ فالفراش يقدم على النار فيحرق نفسه غير مبال، ولكن الشمع هو الذي غزا فراشه.
- (١٧) سرت مني دعوة يا رب في الليل.
- (١٨) السقطان الجناحان.
- (١٩) يقال عن كتاب المثنوي لجلال الدين الرومي: إنه القرآن في اللسان الفهلوي أي الفارسي.
- (٢٠) كم الزهر منقبض يخفي لونه وريحه، فإذا انفتح نشر ريحه واستبان شكله، فغمت الرائحة ملأت الأنف.
- (٢١) أذكى النار أشعلها.
- (٢٢) اتخذ ثوب الزجاج: أظهر ما في باطنك كما تظهر الزجاج ما فيها.
- (٢٣) الفهر الحجر الصغير، يعني اكسر مرآة الفكر ولا تعول على ما تبديه، وأبد ما للعشق في قلبك.
- (٢٤) الناي مأخوذ من الغاب، وصوته عند شعراء الصوفية حنين إلى غابة، وقد بدأ جلال الدين كتابه المثنوي بقصة الناي والغاب.
- (٢٥) قم فعل أمر، يعني: أحي الناس بقولك قم، والكلمة بلفظها العربي في الأصل.
- (٢٦) إشارة إلى ما يقال في وصف إرم ذات العماد.
- (٢٧) أبقيت كلمة خودي في الشطرين كما جاءت في الأصل، ومعناها الذاتية، وهي أساس فلسفة إقبال.

- (٢٨) جلا لي العشق كيف هذا الكون وكمه حين سلط عليّ مبرده فسواني رجلاً.
- (٢٩) رأى نبض النجوم وسير الدم في عروق القمر: أي أدرك أسرار الكائنات.
- (٣٠) الملة البيضاء الأمة الإسلامية، أي هو غبار من سيرها في الطريق.
- (٣١) فريد الدين العطار وجلال الدين الرومي من كبار شعراء الصوفية.
- (٣٢) يعني أن أصله من هذه الأمة، فإن يكن دخائناً فهو من هذه النار.
- (٣٣) ما قصدت ما يفعله الشعراء من نحت الأصنام وعبادتها، أي المدح والخنوع، للكبراء، أو للآراء السائدة.
- (٣٤) هو هندي يغلبه اللسان الفارسي، وهو كالهلال كأسه لم تملأ، أي لم يتم نوره.
- (٣٥) خوانسار وأصفهان أخرجتا شعراء وألحاناً كثيرة.
- (٣٦) الهندي اللغة الأردية التي نظم بها إقبال بعض دواوينه، والدري اللغة الفارسية.
- (٣٧) يعني صار قلمه من شجرة الطور المقدسة التي رأى موسى عندها النار.
- (٣٨) ناسبت الفارسية أفكاره فكتب بها، وينبغي أن ينظر إلى معانيه لا إلى ألفاظه الفارسية المعيبة.
- (٣٩) خلاصة الأبيات المتقدمة: أن الذاتية وهي واحدة اتخذت في الكون مظاهر مختلفة يحارب بعضها بعضاً، والحياة في هذا الخصام وهذا التنازع بين مظاهر الكون.
- (٤٠) في الأبيات الثلاثة المتقدمة يشير الشاعر إلى أن الخلقة لها مقصد تهدم من أجله آلاف الأشكال، ولا تبلغ الكمال إلا بهذا الهدم.
- (٤١) عشق فرهاد شيرين قصة رائعة في الأدب الفارسي، والختن بلاد معروفة بظباء المسك.
- (٤٢) يعني إبراهيم الخليل وأحمد النبي صلوات الله عليهما.
- (٤٣) في الأصل: تقوم وتثير وتطير وتبرق وتحترق وتجفل وتضيء وتقتل وتموت وتنبت، وقد اختصرتها في الترجمة.
- (٤٤) عمل الذاتية في الطين منه ازدهار العالم، والليل نومها والنهار يقظتها والأجزاء في الكون شرر شعلتها الواحدة، تنشق فتكون الأجزاء، وتنبسط فتكون الصحراء، ثم تحزئل — أي ينضم بعضها إلى بعض — فتكون جبلاً.
- (٤٥) قطرة الماء استكملت ذاتها فصارت درة، والخمر ضعفت ذاتها فهي مائعة تستعير قوامها من الكأس.

- (٤٦) حذف بيت قبل هذا البيت وآخر بعده اختصارًا.
- (٤٧) حذف بيتان بعد هذا البيت اختصارًا.
- (٤٨) هذا مثل شعري آخر من قوة الذاتية شجر الجنار تقوى ذاته فيعلو وتكسوه حمرة كأنها النار، وكل هذا لأن حبه قوية محتفظة بذاتها.
- (٤٩) الخلاصة أن الذات التي تجمع قوة الحياة تخرج بحرًا زاخرًا من غدير صغير.
- (٥٠) المقصد مثل جرس القافلة ينبهها للسير.
- (٥١) هو من العقل كالخضر من موسى؛ يهديه ويبين له الحقائق. في بيان أن حياة الذات بتخليق المقاصد وتوليدها.
- (٥٢) الوهق حبل فيه أنشودة تمسك به الخيل المسيية، ويصاد به، وخيط الكتاب الخيط الذي تجمع به أوراقه بعضها إلى بعض.
- (٥٣) في هذا البيت وما بعده يضرب أمثلة لعمل الأمل في العالم؛ فيقول: إن العين خلقت حينما قصد الإنسان الرؤية، ورجل الحجلة خلقت من أجل السير والتبخر، وحلق البلبل من أجل التغريد.
- (٥٤) العقل كذلك من مواليد الأمل.
- (٥٥) كل نظام في الناس وسنن وعلم وفن، آمال انبعثت من القلب بقوتها فتصورت صورًا شتى.
- (٥٦) توعي: تجمع وتدخر.
- (٥٧) حذف بيت قبل هذا اختصارًا، والكامل هنا الإنسان المرشد الذي يهدي المبتدئ.
- (٥٨) إشارة إلى جلال الدين الرومي وشيخه شمس التبريزي الذي نقله من العلم إلى العشق، والروم هنا أرض الروم وهي آسيا الصغرى.
- (٥٩) المعشوق المذكور في هذه الأبيات هو الرسول.
- (٦٠) إشارة إلى ما جاء في الأثر مثل: أنا عبد آكل إكله العبد وأجلس جلسة العبد.
- (٦١) إشارة إلى قصة بنت حاتم الطائي حين جيء بها إلى المدينة في الأسرى فألقى عليها الرسول برده وأطلقها.
- (٦٢) إشارة إلى عفو الرسول يوم فتح مكة عن قريش، وقوله: ﴿لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾.
- (٦٣) يعني أننا كالبصر يصدر من عينين، هو واحد وإن اختلف مصدره.
- (٦٤) نحن ممتزجن كما يمتزج الراح والزجاج.

فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر

(٦٥) إشارة إلى قصة حنين الجذع الذي كان يخطب عنده الرسول حين انتقل عنه إلى مكان آخر.

(٦٦) هو بستان ناضر من مطر آذاره، والضمير للرسول ﷺ.

(٦٧) جمع ما جمع من المعاني من تسريح عينه في مآثر الرسول.

(٦٨) الشيخ عبد الرحمن الجامي من كبار العلماء والشعراء والصوفية في القرن التاسع الهجري.

(٦٩) للعشق أشكال مختلفة منها التقليد أحياناً، وهو يدعو هنا إلى تقليد الرسول.

(٧٠) هاجر إلى الحق لتقوى؛ ثم ارجع إلى نفسك فاحطم ما بها من أهواء.

(٧١) فاران: اسم مكة أو جبالها.

(٧٢) إشارة إلى الآية: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ أي لتكون خليفة الله في الأرض.

(٧٣) إشارة إلى قصة عمر حين سقطت درته من يده وهو راكب فنزل ليأخذها ولم يرض أن يناوله إياها أحد.

(٧٤) ركوب عود من القصب أو الجريد كما يفعل الأطفال.

(٧٥) لا نور في سينائها يهدي إلى الحق، إشارة إلى قصة موسى.

(٧٦) لا تسأل المال ولو من عين الشمس.

(٧٧) السمة التي على وجه القمر سمة اجتدائه نور الشمس.

(٧٨) إشارة إلى الأثر: الكاسب حبيب الله.

(٧٩) لا يطلب من الخضر شربة ماء، وعند الخضر ماء الحياة كما في القصص.

(٨٠) همته يقظانة وإن كان جده نائماً.

(٨١) يتخيل الشعراء حباب الماء كأساً فارغة وهي في البحر، فضرب الشاعر الحباب مثلاً في العفة والإباء.

(٨٢) تحكم أي تصير قوية محكمة.

(٨٣) دارا وجمشيد من ملوك الفرس القدماء.

(٨٤) الشيخ أبو علي قلندر من كبار صوفية الهند في القرنين السابع والثامن،

والقصة التي يسير إليها الشاعر وقعت بين الشيخ والسلطان علاء الدين الخلجي،

وخلاصتها أن أحد مريدي الشيخ ذهب إلى السوق وكان موكب العاهل قادمًا فنادى أحد الحرس الدرويش ليفسح الطريق، فلم ينتبه فضربه على رأسه، فذهب إلى شيخه شاكيًا، فكتب الشيخ إلى السلطان: إما أن تعزل عاملك أو أنصب مكانك ملكًا آخر، فخاف السلطان وأرسل الشاعر الكبير أمير خسرو — وكان ماهرًا في الموسيقى — فغنى بعض شعره على الرباب، فلما آنس من الشيخ قبولًا أبلغه رسالة السلطان يطلب عفو الشيخ فعفا عنه، ويريد إقبال بهذه القصة بيان قوة النفس التقية المستغنية.

(٨٥) هذا البيت يشير إلى مطلع قصيدة فارسية للشيخ أبي علي قلندر فيها ذكر البلبل والورد.

(٨٦) أمير خسرو الدهلوي من كبار الشعراء في القرن الثامن الهجري.

(٨٧) طبل النوبة كان يضرب في أوقات معينة على أبواب الملوك.

(٨٨) قال الكبش إلخ.

(٨٩) ساعد الضأن ويد الأسد.

(٩٠) فادعى في القوم، أي ادعى الكبش.

(٩١) ﴿كَذَابٌ أَشْرٌ﴾ و﴿نَحْسٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ اقتباس من القرآن، جاء في الأصل.

(٩٢) مذهب إقبال قائم على أن الخير في إثبات الذات والشر في نفيها.

(٩٣) الحبة الواحدة لا تبالي بالبرق ولكن البرق يحرق البيدر الكبير.

(٩٤) يداس العشب فينمو، فالذلة فيها نفع.

(٩٥) لعل فيها إشارة إلى ما يفعله نساك الهند، وإلى الصورة التي تمثل ثلاثة

قروء؛ واحد يسد فمه، والثاني أذنيه، والثالث عينيه.

(٩٦) أعرض عن الحواس.

(٩٧) يؤمن بعالم الأحلام لا عالم اليقظة، ولا تبصر عينه الماء، ولكن تبصر السراب

— الآل السراب.

(٩٨) الحي يعيش في عالم الإمكان، عالم الحس، والميت يعيش في عالم الخيال،

عالم الأعيان عند أفلاطون، وهذا رد على أفلاطون.

(٩٩) خلق أفلاطون عالمًا لا يثب ظبية ولا يتبخر حله — والحجل طير جميلة في

مشيها تبخر.

(١٠٠) الحبة في طبيعتها النمو والفرش في طبعه حب الضوء، ولكن حبة أفلاطون

تكره النمو، وفرشه يكره الضوء.

(١٠١) رأى إقبال أن يخلق الفكر ليعود إلى عالم الحس، لا ليبقى في عالم التفكير والتخيل.

(١٠٢) الكور مجمرة الحداد.

(١٠٣) يقول: إن الأمل وسيلة العمل، والأمل يخلقه الميل إلى الخير والجمال.

(١٠٤) ضمير الشاعر فيه شقائق لا يراها الناس، وفيه بكاء وغناء لا يسمعون.

(١٠٥) إشارة إلى قصة الخضر واهتدائه إلى ماء الحياة في أرض الظلمات.

(١٠٦) يكمل دائرة الحياة.

(١٠٧) السرو: شجر طويل، يصفه الشعراء بالرشاقة والتمايل.

(١٠٨) بنات البحر: حيتان خرافية، نصفها الأعلى كالإنسان، تغوي الملاحين بأنغامها

حتى تغرق السفن.

(١٠٩) أي لا تشتهي العمل ولا تطبيقه.

(١١٠) نيسان: من شهور الربيع يكثر فيه المطر، وهذا الشاعر الذي يصفه إقبال

ليس في نيسان من سيل من البرق، أي: ليس في سحابه برق ولا مطر، وقد شبه إقبال

وميض البرق بالسيل، والآل السراب، أي بستانه سراب من اللون والرائحة.

(١١١) بهزاد: مصور إيراني ماهر، يقول إقبال: إن هذا الشاعر شوه صورة العشق،

وفي الأبيات التالية يبين ما أصاب العشق من الذلة والخور على لسان شاعر السوء.

(١١٢) يستجدي أو يحاول السرقة فيركله الحارس.

(١١٣) هذه الأوصاف تعرب عن غيظ إقبال من الشعراء الذين أذلوا الآداب

الإسلامية.

(١١٤) إقبال معجب بالعرب الذين حملوا رسالة الإسلام إلى أقطار الأرض، لا

يصددهم شيء، ويكبر الهمة والقوة والصبر فيهم، ويمدح الأدب العربي القوي.

(١١٥) الهما: طائر خرافي إن سقط ظله على إنسان صار ملكاً، والشاعر هنا

يخاطب المسلم قائلاً: إن الهما الذي يمنح الناس الحظ قد علا حظه بأنك صدته فأنت

أعلى منه، فارفع عشك فوق الجبل.

(١١٦) الأنوق: العقاب.

(١١٧) اقتباس من القرآن، وهو في الأصل.

(١١٨) إذا وفق الإنسان بين نفسه وبين القانون أطاع القانون مختاراً لا مجبراً.

(١١٩) الشقيق: شقائق النعمان، وهي في الشعر مثال الوجد والاحتراق.

(١٢٠) في الأبيات السابقة ضرب الشاعر أمثالاً مختلفة لسير الأحياء والأشياء على قوانين.

(١٢١) ينصح المسلم بالتزام الشرع واحتمال شدته، فهذا قانون لا يسعد الإنسان بدونه، ويقول للمسلم: كنت حراً باتباع دستورك القديم؛ فارجع وقيد رجلك بهذا القيد الجميل، ففي هذا القيد حريتك لا عبوديتك.

(١٢٢) لا إله: اختصار لا إله إلا الله، وهكذا يستعملها الشاعر في كثير من شعره، يقول: إنما السبيل إلى أبطال طلسم الخوف أن تمسك عصا من التوحيد كعصا موسى تبطل السحر.

(١٢٣) لا: إشارة إلى نفي ما سوى الله.

(١٢٤) يضع السكين في حلق ولده كإبراهيم الخليل.

(١٢٥) خيط الكتاب ما تضم به صفحاته بعضها إلى بعض.

(١٢٦) البكر الجمل الفتى، ويراد به الجسد، مسامرة للتشبيه الذي بدأ به الفصل.

(١٢٧) لا يزال الشاعر في تشبيه الجسد بالجمل، فالصعب هنا الجمل غير الذلول.

(١٢٨) البساط البالي الأباطيل الموروثة.

(١٢٩) يخلق من فكره أكوأناً أخرى، لا يقيده ما هو واقع.

(١٣٠) المضرب: أداة تضرب بها أوتار العود.

(١٣١) الهاء في هوه للوقف، والبيت مردوف في «الأسماء» و«أسرى».

(١٣٢) يعدو تحته حصان الزمان، أي يسير الزمان سريعاً إلى مقصده.

(١٣٣) إن قال قم انبعثت الأرواح من قبور الأبدان.

(١٣٤) يبدل قيم الأعمال بما يضع من معايير جديدة.

(١٣٥) يكثر في الفارسية ذكر الفارس والغبار، يقال مثلاً: رب فارس في هذا

الغبار، والشاعر يقول هنا: قد أصابنا ما أصابنا ومرت بالناس محن، فارتفع غبارهم، فظهر هذا الفارس من هذا الغبار، يعني: أن هذا الإنسان الكامل لا يناله الناس إلا بعد حوادث شديدة.

(١٣٦) الأكمام: جمع كم الزهرة قبل أن تنفتح، يقول: إن الكم عندنا سينفتح عن

روضة، وعيوننا تضيء بنور المستقبل.

(١٣٧) الأبيات السبعة الأخيرة خطاب للإنسان الكامل أو النائب الإلهي.

(١٣٨) هنا عنوان فصل حذفته، وحذفت معه اثنين وعشرين بيتاً لم أجد في ترجمتها

فائدة، والكلام بعدها متصل بما قبلها.

- (١٣٩) لا تكن وردة وكن كالحجر صلبة، وكن سورًا يحمي الأزهار.
- (١٤٠) يغير نظام الموجودات إن لم تلائمه، يعني: يسخر عالم الطبيعة في مراده.
- (١٤١) يغير ما يزعمه الناس تأثير الفلك وحكم الأيام.
- (١٤٢) الضمير في هذا البيت والأبيات التالية يعود إلى الخور، وفيها يبين إقبال تعذير الضعفاء والتماس أسماء مختلفة لضعفهم.
- (١٤٣) جمام جمشيد: وهي كأس خرافية كانت ترى فيها الأقاليم السبعة.
- (١٤٤) ينبغي أن يذكر القارئ أن إقبالاً يعني قوة الروح والخلق أيضًا.
- (١٤٥) الشيخ علي الهجويري مؤلف كتاب: «كشف المحجوب لأرباب القلوب» في التصوف، كان من كبار الصوفية الذين وفدوا على البنجاب، ووعظوا فيها ونشروا الدعوة الإسلامية، توفي سنة ٤٦٥هـ، ومزاره في لاهور يقصده الناس من كل صوب، ونسبته إلى هجوير إحدى قرى غزفة.
- (١٤٦) والشيخ الجشتي أحد عظماء الصوفية ودعاة الإسلام في الهند، أسلم بدعوته كثير من الهنادك، أقام في أجمير وتوفي بها سنة ٦٣٢هـ، ومزاره أعظم المزارات الإسلامية في الهند، ويشير إقبال في هذا البيت إلى زيارة الجشتي قبر الهجويري في لاهور واعتكافه عنده زمانًا.
- (١٤٧). السحابة الراعدة الممطرة
- (١٤٨) العقاب جمع عقبة.
- (١٤٩) الردى: أن تغفل الذات لا أن يفارق الروح البدن.
- (١٥٠) كن مثل يوسف؛ أقام في نفسه فأحكمها، فمضى من السجن إلى الوزارة.
- (١٥١) أبدى السر في قصة قصيرة ككم الزهرة.
- (١٥٢) هذا البيت من شعر جلال الدين الرومي.
- (١٥٣) هي مضيئة بنور الشمس، وهي في خوف أن تجف في أشعة الشمس.
- (١٥٤) قطرة الندى كأنها كوكب من السماء تجلى على الأرض، والندى في شعر إقبال يرمز أحيانًا للأمور العلوية.
- (١٥٥) الأكمام: أكمام الزهر، وهذه القطرة سريعة الزوال لم تأخذ نصيبًا من الحياة الذاتية.
- (١٥٦) كن في صلابة الفضة باجتماع الذرات المضطربة كالزئبق.
- (١٥٧) بناريس: بناريس المدينة المقدسة في الهند.

(١٥٨) يدعو هذا الشيخ إلى استمساك البرهمي بدينه وكماله فيه ما دام برهميًا، ويرى الكمال ولو في الكفر خيرًا من النقص، ثم يقول إن الموحدين لا يسرون على نهج إبراهيم الذي كسر الأصنام، والوثنيين لا يتبعون آزر الذي نحتها.

(١٥٩) الخطاب من نهر الجنج لجبل همالا، وخلاصة المحاوره: أن النهر يعير الجبل بالعجز عن المسير، فيجيب الجبل بأن البقاء في ثبات الكائن في مقامه، وأن الفناء في زواله عن مقوماته، وهذه المحاوره تصور رأي إقبال في إثبات الإنسان ذاته وتقويتها، وأن نفيها أو الغفلة عنها يؤدي بها.

(١٦٠) الريح: الرائحة، لا ترم أن يقطفك الناس لتفوح رائحتك.

(١٦١) اقتباس من جلال الدين الرومي مع تغيير في اللفظ.

(١٦٢) إن كنت ماء فاحفظ نفسك في البحر حتى تصير لؤلؤة، أو كن سحابًا ذا

برق ورعد يجتدي منك البحر ماءه.

(١٦٣) الحق: الله تعالى، يبلغ المؤمن درجة يفنى فيها رضا الحق في رضاه، أي:

يكون رضا الحق، والشطر الثاني مأخوذ من جلال الدين الرومي.

(١٦٤) القصة التي نظمها الشاعر في هذا الفصل كانت بين السلطان شاهجهان

والشيخ ميا نمير، وشاهجهان أحد سلاطين الدولة الإسلامية المغولية في الهند، ولا تزال آثاره في العمارة زينة الهند كلها ومفخرتها، وهو باني المزار ذائع الصيت «تاج محل» في مدينة أجرة، شاده لزوجه ممتاز محل، حكم (١٠٣٧-١٠٦٨هـ) ومير محمد المعروف بميا نمير هو أحد مشايخ الطريقة القادرية في الهند، ولد في السند سنة ٩٣٨هـ، وأخذ عن شيخه الشيخ محمد خضر، ثم انتقل إلى لاهور فأخذ عن مشايخها، وقد عظمت مكانته فكان يزوره السلطان جهانجير، ثم ابنه شاهجهان صاحب القصة، وتلمذ له عبد الحكيم السيالكوتي المعروف في علم الكلام، توفي سنة ١٠٤٥هـ ومزاره مقصد الزائرين في لاهور اليوم.

(١٦٥) هل من مزيد جاءت في الأصل بلفظها العربي، يعني جعل سيفه يقول: هل

من مزيد.

(١٦٦) قال الشيخ: سلطاني ... إلخ.

(١٦٧) جوع السائل يضره وحده، وجوع صاحب الدولة يخرب البلاد.

(١٦٨) كن قطرة لا ترص بغاية، فهي تشرب البحر في ضمئها، الصدى الظمأ.

(١٦٩) إشارة إلى قصة الغار والحمامة التي عششت عليه، يعني: إن لم تكن ذا

همة تطير عن الأرض، فلا تطلب المنزلة الرفيعة.

- (١٧٠) بيت من جلال الدين الرومي.
- (١٧١) سلك الدر نظمه في السلك.
- (١٧٢) أي الحكماء المشائين.
- (١٧٣) شيخ تبريز شمس الدين التبريزي، الصوفي، الذي أرشد جلال الدين الرومي إلى التصوف، وكمال هو كمال الدين الجنيدي شيخ شمس الدين.
- (١٧٤) انتهت قصة الرومي والتبريزي.
- (١٧٥) بردا الأولى فعل ماضٍ، والثانية البرد الذي ينزل من السحاب.
- (١٧٦) إشارة إلى قصة إبراهيم الخليل في القرآن الكريم، وقوله حينما أفل الكوكب ثم القمر: لا أحب الأفلين، وكأن الشاعر تصور الأفل خامدًا، فقال: إن علم المسلم من نار القلب، والإسلام ترك ما يأفل أي يخدم.
- (١٧٧) إشارة إلى قصة إلقاء إبراهيم في النار، وكونها بردًا عليه وسلامًا.
- (١٧٨) الكحل سواد طبيعي في منابت أشفار العين، يقول الشاعر: أيها الساعي للجمال المصنوع غافلا عن جماله الطبيعي يعني المسلم المقلد غيره الغافل عما عنده.
- (١٧٩) يعني اركب الأهوال وراء ما تبتغي، واطلب المنفعة عن كل ضار، واجعل ماء الخنجر — أي بريقه — ماء الحياة.
- (١٨٠) علم هذا العصر فيه نار كنار الشقائق، لا حرارة فيها، وله بريق كبريق الندى لا نار فيه.
- (١٨١) السلطان محمود الغزنوي فاتح الهند الملقب مكسر الأصنام، يعني: أن العشق كمحمود والعقول كالأصنام.
- (١٨٢) الضمير في هذا البيت يرجع إلى العقل أو علم العصر الحاضر، ليس في كأسه نشوة، ولا في ليله دعاء «يا رب» وما فيه من وجد.
- (١٨٣) يرجع يخاطب المسلم.
- (١٨٤) نفر من سواد الكعبة: فخرج من الحرم فتمكن منه الصياد.
- (١٨٥) يرى إقبال أن الإنسان ينبغي أن يثبت في نفسه وأخلاقه وسنته، ويبعد في مساعيه دون أن ينسى مركزه؛ فهو كالوردة ينتشر عرفها ويلتئم ورقها، فإذا تفرق الورق فنيت.
- (١٨٦) نحن مسلمون، ولكن في أنفسنا وثنية من عبادة الهوى والخضوع لغيرنا.
- (١٨٧) الدمى: جمع دمية، يراد بها الإنكليز، وما عندهم من مال ومناصب الخ.

- (١٨٨) يعني: أن الشيخ صار شيخاً بابيضاض شعره لا بعلمه وتقواه، والأطفال يسرون وراءه ساخرين منه، وأحسب الشاعر يعني ضرباً من رجال الطرق في الهند.
- (١٨٩) «لا إله» اختصار لا إله إلا الله حيثما جاءت في شعر إقبال.
- (١٩٠) مأخوذ من بيت لحافظ الشيرازي:

شب أز مسجد سوى ميخانه آمد پيرما چيست ياران طريقت بعد أزين تدبيرما؟

- (١٩١) الوقت سيف من كلام الإمام الشافعي رضي الله عنه (المؤلف).
- (١٩٢) حيدر: علي بن أبي طالب.
- (١٩٣) انظرا: فعل الأمر مع نون التوكيد الخفيفة.
- (١٩٤) الحيوان: الحياة.
- (١٩٥) إشارة إلى الأثر: لي مع الله وقت لا يسعني فيه نبي مرسل ولا ملك مقرب، ويريد الشاعر أن يقول: إن الوقت حال الإنسان لا ساعات الفلك.
- (١٩٦) الضمير يرجع إلى الوقت.
- (١٩٧) يقول الشاعر: إنك أحياناً كالرائحة لا تثبت في بستانها، وأحياناً سجين في سجن بنته يداك تسير مع ساعات الزمان وتحبس نفسك فيها والوقت هو أنت.
- (١٩٨) لفظ القضاء والقدر، يعتل به ويحيل الأمور عليه.
- (١٩٩) عزم الحر من القضاء، ويقول الشاعر في هذا: إن القضاء يستشير الحر فيما يفعل.
- (٢٠٠) لا يعتل بأن شيئاً فات وقته وأن شيئاً لم يحن وقته، بل عزمه يطوع كل وقت لما يريد.

- (٢٠١) القافية مردوفة والروي في حضور ومرور.
- (٢٠٢) أبيات إقبال هذه في الوقت وفي التفريق بين العبيد والأحرار من أروع ما عرفته الفلسفة والشعر.
- (٢٠٣) في هذا البيت والأبيات بعده يذكر إقبال ماضي المسلمين.
- (٢٠٤) في هذا البيت وأبيات تليه يخاطب الشاعر أهل الغرب المسيطرين على العالم.
- (٢٠٥) يشير إلى أول سورة في القرآن: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾.
- (٢٠٦) الخطاب لله تعالى.
- (٢٠٧) يعني تكلفنا واجبات عظيمة، وليس في يدنا اليوم أسبابها.

(٢٠٨) إشارة إلى الآية: ﴿إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾.

(٢٠٩) يعني: أضع المسلمون خيط الاتحاد فتعقدت أمورهم.

(٢١٠) الورق: ورق الكتاب والسلك الخيط الذي يجمع به الورق.

(٢١١) «لا»: يريد النفي في كلمة التوحيد، نفي ما سوى الله، و«إلا الله» هي الإثبات في هذه الكلمة.

(٢١٢) الشقر: شقائق النعمان، وهي زهر أحمر يضرب به المثل في الاحتراق، ولكن الشاعر يقول: إن هذه النار الباردة تمحوها نار دموعي.

(٢١٣) قلبه متصل بذكري الماضي، ولكن عينيه تريان المستقبل، وتطمحان إليه، وهذا المعنى يكرره إقبال.

(٢١٤) البيت من فاتحة المثنوي لجلال الدين الرومي في وصف الناي.

(٢١٥) نار تحرق المحسوسات وتنفذ إلى البواطن.

(٢١٦) هذه النار نار العشق تخرج بالعقل عن حدوده الضيقة، وتحرق ما لقنه الناس من علم، انظر الكلام عن العشق والعقل في مقدمة ضرب الكليم.

(٢١٧) يبكي إقبال لخلو عصره من القلب، كما يبكي المجنون لخلو المحمل من ليلي.

(٢١٨) يعني: أنه كالشمع لا يجد فراشاً أهلاً لناره، ليس له أصحاب أو تلاميذ يفقهون عنه ما يقول.

(٢١٩) الشقيقات: جمع شقيقة واحدة الشقائق التي تسمى شقائق النعمان، هو وحيد وإن كان في جماعة.

(٢٢٠) يريد إقبال نجياً مجنوناً، والجنون في لغة إقبال الهيام والإقدام إلى غير أحد.

(٢٢١) يكون له ناحتاً كآزر، ويكون صنماً له يتوجه إليه توجه العابد إلى الصنم.

رُموز نفى الذات

جِدْ بنفِي الذاتِ ذاتًا، لا تهابْ اجتهد، واللَّهُ يَهْدِكَ الصواب

جلال الدين الرومي

مهداة إلى الأمة الإسلامية

إِيه يا مُنكَرًا أَحاديثَ عشقي ليس بي حُرقةٌ تكون بغيري

عرفي^١

ختم الله إِلَيْكَ الْأُمَمَا	بِكَ حَقًّا كُلُّ بَدِءٍ خُتَمَا
كَمْ تَقِيَّ فَيْكَ كَالرَّسْلِ مُنِيبُ	وَجَرِيحِ الْقَلْبِ رَفَاءِ الْقُلُوبِ
لَكَ طَرَفٌ بِالنَّصَارَى سُجْرًا	وَعَنِ الْكَعْبَةِ أَبْعَدَتْ السُّرَى ^٢
يَا مَنْ الْأَفْلاكِ مِنْ هَبَوْتِهَا	«مَنْ رَنَا الْكُونُ إِلَى طَلْعَتِهَا» ^٣
سَرَتْ كَالْمَوْجِ دُوبِ السَّفَرِ	«أَيْنَ تَبْغِينَ مَرَادَ النَّظَرِ؟» ^٤
كَفَرَّاشٍ فِي لُظَى الْحَبِّ اصْبِرِي	وَحْذِي عُشْكَ بَيْنَ الشَّرِّ
أَحْكِمِي الْعِشْقَ بِرُوحٍ قَدْ صَفَا	جَدِّدِي الْعَهْدَ بِحَبِّ الْمَصْطَفَى

صحبَةَ النَّصْرَانِ قَلْبِي هَجَرَا
ورفيقي رهنُ حسنِ الآخرين
سَدَّةُ السَّاقِي بِخَدَّيْهِ يَدُوسُ
وأنا فيكَ قَتِيلُ الْحَاجِبِ
أنا من نظمِ مديحِ أَرْفَعُ
كم مرايا صُغِنَتْهَا من كَلِمِي
لا تَرَى المِنَّةَ جِيْدِي تَأْطِرُ
مُقَدِّمٌ فِي الدَّهْرِ مِثْلَ الْخِنْجَرِ
أنا في نارِ الحَيَاةِ الشَّرَرُ
حينما وجهك عندي أسفرا
واصف الطَّرَّةَ مِنْهُمْ وَالْجَبِينُ
مَنْشَدًا قِصَّةَ غُلْمَانِ الْمَجُوسِ^٥
وَتُرَابٍ فِي حِمَاكِ الْحَادِبِ
لَسْتُ مَمَّنْ لَأَمِيرٍ يَرْكَعُ
فَعَنَ اسْكَندَرَ تَعْلُو هِمَمِي^٦
من زهورِ الرُّوضِ جَجْرِي صَفَرُ^٧
من قلوبِ الصَّخْرِ مَائِي أَمْتَرِي^٨
في ثِيَابٍ مِنْ رَمَادِي أَسْتَرُ

* * *

قصدتُ بَابَكَ رُوحِي فِي خُشُوعٍ
إِنْ فِي الزَّرْقَاءِ يَمًّا يَقْطُرُ
أَجْمَعُ الْقَطْرَ رِبِيْعًا جَارِيًا^٩
قَدْ حُبَيْتِ الْحَبَّ مِنْ مَحْبُوبِنَا
قَذَفَ الْعَشْقُ بِقَلْبِي حُرْقًا
وَشَقَقْتَ الصَّدْرَ، كَالْوَرْدِ لَكَ^{١٠}
لَتَنَالِي نَظْرَةً مِنْ سِحْرِكَ
ثُمَّ أَشْدُو قِصَصًا مِنْ أَمْسِكَ
فِي هِدَايَا مِنْ لَهْيٍ وَدَمُوعٍ
فَوْقَ قَلْبٍ لَاهِبٍ لَا يَفْتَرُ
وَإِلَى رَوْضِكَ أَزْجِي صَافِيًا
أَنْتَ قَلْبٌ قَدْ ثَوَى فِي صَدْرِنَا^{١١}
صَاغَ مِرَاةً فَوَادِي الْمُحْرَقَا
مُدْنِيًا مِرَاتَهُ مِنْ وَجْهِكَ
وَتُرِّي مَغْلُولَةً فِي شَعْرِكَ^{١٢}
فَأَذْكَى حُرْقًا فِي نَفْسِكَ

* * *

أَسْأَلُ الْحَقَّ حَيَاةً تَحْصُفُ
نَائِحٌ وَاللَّيْلُ سَاجٍ سَادِلُ
تَصْطَلِي رُوحِي بِحُزْنٍ وَأَلَمٍ
أَمَلًا فِي الصَّدْرِ صَيَّرْتُ دَمَا
مَا احْتَرَاقِي كَشَقِيقٍ أَبَدًا
أَنَا كَالشَّمْعِ دَمُوعِي غُسْلِي
مَحْفِلُ النَّاسِ بِنُورِي يُشْرِقُ
مَا لِنَارِي فِي الْحِشَا مِنْ فِتْرَةٍ
لِفَرِيقٍ نَفْسَهُ لَا يَعْرِفُ
يَهْجَعُ النَّاسُ وَدَمْعِي هَاطِلُ
وَرْدُ «يَا قَيُّومُ» أَنْسِي فِي الظُّلُمِ
لِيُرَى فِي أَدْمُعِي مُنْسَجِمَا
فِيمَ أُسْتَجْدِي مِنَ الْفَجْرِ النَّدَى^{١٣}
فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ أَذْكَى شَعْلِي
أَنْشُرُ النُّورَ وَنَفْسِي أَحْرَقُ
مَا بِأَسْبُوعِي فَرَاغُ الْجُمُعَةِ^{١٤}

إن رُوحِي فِي سَحِيقِ الْجَسَدِ أَهَةٌ ثَوَّبَ غِبَارَ تَرْتَدِي^{١٥}
مُذْ بِرَانِي الْحَقُّ فَجَرَ الْخَلْقَةَ زَلْزَلْتُ أَوْتَارَ عَوْدِي أَنْتِي
أَنَّهَ لِلْعَشْقِ تُفْشِي سِرَّهُ أَهَةٌ فِي الْعَشْقِ تُذْكَي جَمْرَهُ
تَجْعَلُ الْعَصْفَ لَهِيْبًا يُحْرِقُ وَفَرَاشًا مِنْ تَرَابٍ تَخْلُقُ^{١٦}

* * *

فِي ضَمِيرِ الْعَشْقِ وَسَمٌّ كَالشَّقَرِ وَلَهُ وَرْدَةٌ وَجِدٍ تَسْتَعِزُّ
هَذِهِ الْوَرْدَةُ أَحْبَبُو صَدْرِكَ فِي سُبَاتٍ مِنْكَ أَذْكَى حَشْرِكَ
لَأَرَى فِي ثُرْبِكَ الرُّوضِ الْيَنْيَعُ وَبِأَنْفَاسِكَ أَرْوَاحَ الرِّبِيعِ

تمهيد في معنى ارتباط الفرد والأمة

رَحْمَةً لِلْفَرْدِ جَجَّرَ الْأُمَّةَ كَامِلٌ جَوْهَرُهُ فِي الْمَلَّةِ
فَالزَّمَنَّ الْجَمْعَ جَهْدَ الْمَسْتَطَاعِ فِي ذَرَا الْأَحْرَارِ كُنْ مِثْلَ الشَّعَاعِ
وَاحْفَظْنِ مَا قَالَهُ خَيْرُ الْبَشَرِ: كُلُّ شَيْطَانٍ مِنَ الْجَمْعِ نَفَرُ
فَرَدْنَا مَرَاتَهُ أُمَّتُهُ وَكَذَا مَرَاتُهَا صَوْرَتُهُ
وَهُمَا سَلَكَ نِظَامٌ وَدُرَّرَ أَوْ نَجُومٌ تَتَجَلَّى فِي النَّهْرِ^{١٧}
قِيَمَةُ الْأَفْرَادِ جَدْوَى الْمَلَّةِ وَمِنَ الْأَفْرَادِ نَظَمَ الْأُمَّةَ^{١٨}
وَإِذَا الْوَاحِدُ فِي الْجَمْعِ نَمَا كَانَ كَالْقَطْرَةِ صَارَتْ خِضْرِمَا
جُمِعَ الْمَاضِي لَهُ فِي لُبِّهِ وَالتَّقَى الْغَابِرُ وَالْآتِي بِهِ
صَلَاةُ الْأَمْسِ تَرَاهُ وَالْغَدِ وَقَتُّهُ لَا يَنْتَهِي كَالْأَبَدِ
هُوَ بِالْأُمَّةِ قَلْبٌ طَامِحُ وَهُوَ بِالْأُمَّةِ سَعْيٌ رَابِحُ
رُوحُهُ مِنْ قَوْمِهِ، وَالْبَدْنُ سِرُّهُ مِنْ قَوْمِهِ وَالْعَلَنُ
بِلِسَانِ الْقَوْمِ يَشْدُو مِنْطَقًا وَمِنَ الْأَسْلَافِ يَقْفُو طُرُقًا
تُنْضِجُ الْفَطْرَةَ فِيهِ الصَّحْبَةُ فَتَرَاهُ الْفَرْدَ وَهُوَ الْأُمَّةُ
تُحَكِّمُ الْوَحْدَةَ فِيهِ الْكَثْرَةُ وَهِيَ، بِالْوَحْدَةِ فِيهِ، وَحْدَةٌ^{١٩}
أَفْرِدَ الْلَفْظَ مِنَ الْبَيْتِ تَرَى جَوْهَرَ الْمَعْنَى لَدَيْهِ انْكَسَرَا^{٢٠}
تَسْقُطُ الْأَوْرَاقُ مِنْ غَصْنٍ يَنْيَعُ فَتَرَى مُحْرُومَةً وَصَلَ الرِّبِيعُ

طفئت أنغام أعواد غناء
يُحرّم الفردُ الوحيدُ المقصدا
تجمع الأمة شمل المنة
نشأت بالقيد حرًا مطلقًا
ظبيّه الوثابُ مسكا يعبق
أنت لم تعرف «خودي» من «بيخودي»
إن في طينك نورًا قد بدا
كل غمّ ورضًا من دورته
أنت منه أنت حقًا، وأنا
يخلق النفس ويذرو ويُقرّ
يأسر الشعلة هذا الشررُ
حرة رهن قيود فطرته
لكفاح دائم تنزّو قواه
يستثير الحرب في جلوته
يقطع الجبرُ عليه الطرّقا
تشظى الذات في أمتها
نكتة خذها، كسيف مخدّم
وانصرف عني إن لم تفهم^{٢١}

فاتها من زمزم الأمة ماء
فترى نظم قواه بددا
فيه تحبوه عظيم الهمة
أثبتت في الأرض سرّوا بسقا^{٢١}
إن حواه من نظام وهق^{٢٢}
أنت لا ريب من الشك ردي^{٢٢}
بشعاع منه أبصرت الهدى^{٢٤}
أنت حيّ بتوالي ثورته
أنا، وهو الفرد لا يرضى ثنا^{٢٥}
ذو دلال في خضوع مستتر^{٢٦}
لهب من حرّه مُستعر^{٢٧}
جزؤه بالكل حاطت قوته
هو يُسمى الذات أو يُسمى الحياة
حين يُبدي النفس من خلوته^{٢٨}
وله بالحبّ فرع سَمَقا^{٢٩}
لترى الروضة من زهرتها^{٣٠}

في معنى أن الملة تنشأ من اختلاط الأفراد وأن تكميل تربيتها بالنبوة

ما ارتباط الجمع، أئى يوصف؟
إننا نبصر فردًا في الجميع
فطرة تنهج نهج الوحدة
كل فرد بأخيه ائتلفا
لفهم في عيشهم معترك
من جذاب تتوالى الأنجم

قصة أولها لا يُعرف
زهرة نقطف في هذا الربيع^{٣٢}
إنما تزهر وسط الروضة
مثل درّ في سموط ألفا
كل فرد بأخيه ممسك
كوكب من كوكب مستحكم

* * *

ومروجٌ وسُهوبٌ ورمالٌ	كان رَكْبُ الناس مأواه الجبال
فكرُهُ ما فُتِّحَتْ زهرتُهُ	نسجُهُ ما أُحْكِمْتُ لُحْمَتُهُ
لحنه لَمَّا يُؤْلَفُ نَغْمًا	عودُهُ ما بلحونٍ رَنَّمًا
لم يَخْزِه بزبانيٍ مطلبٌ ^{٣٣}	لم يُثِرْه من رجاءٍ مَضْرَبُ
جامُهُ من خمره غير ندي ^{٣٤}	محفل غُفْل حديث المولد
كرَّمه ما فار فيه دُمُهُ ^{٣٥}	لم يُرعرع في ثراه نجمُهُ
خائف من وهمه في كل حالٍ	فكره دارٌ لغيلان الخيالِ
قد أحاطت فكره جُدرائهُ	نو وجود ضيِّقٍ ميدائهُ
قلبه من قصف ريحٍ خَفَقا	طينُهُ من خيفةٍ قد خُلِقا
يده في أرضه لا تضربُ	روحه من كل صعب تهَرَّبُ
كل ما ترمي سماءٌ يلقفُ	كل ما ينمو بأرضٍ يقطِفُ

* * *

يكتب الأسفار من حرف يسير	ثم يهدي الله ذا قلب بصير
وحياةً في مَوَاتٍ يَبْعَث	عازفٌ في كلِّ نفسٍ يَنْفُث
كل قَدْر حالٍ في معياره ^{٣٦}	تقبس الذرة من أنواره
بشعاع منه يُزْهَى مجلسُ	يُنْشِرُ الأنفسَ منه نَفْسُ
وحدًا الأشتات، هذا عَجَبُ ^{٣٧}	شفةٌ تُحيي وعينٌ تَجْذِبُ
يجعل البَيْدَ كروِضٍ نَضِرِ ^{٣٨}	يهب الناسَ جديد النظر
بلهيب منه حَرَّى ثائره	فترى الأمة منه سائره
فأحال الطين فيها شُعلا	شرراً في قلبها قد أشعلا
فإذا الذرة سيناء تَرَى ^{٣٩}	سيره يعطي التراب البَصرا
وهب الثروة هذا المفلسا ^{٤٠}	عاري العقل بجدواه كسا
ويذيب الغش من عسجده ^{٤١}	ينفخ الجمرة في موقده
ويُجير القِنَّ من أقياله	ويفكُّ العبدَ من أغلاله
أترى قدرك دون الصنمِ ^{٤٢}	قائلاً أن لست عبداً فاعلمِ

يجذب الإنسان شطر المقصد جاعلَ الشرع زمامًا في اليد
نكتة التوحيد يوحىها إليه
أدب الطاعة يمليه عليه^{٤٣}

أركان الأمة الإسلامية الركن الأول التوحيد

طَوَّفَ العقل بدنيا العِللِ	قاده التوحيد شطر المنزل
أَعَوَزَ المنزلُ هذا السابلا	زورقُ الفكر أضلَّ الساحلا
في «آتِي الرَّحْمَنَ عَبْدًا» مُضْمَرٌ	رمزُ توحيد لقلبٍ يُبْصِرُ ^{٤٤}
يبتلي التوحيدُ فيك العملَ	فيجْلِي لك سرًّا أغفلا
يُشرق الدينُ به والحكمةُ	ويُرى الأيدُ به والمُكنةُ
قد تجلَّى حيرةً للعالمين	وتجلَّى عملا في العاشقين
يرتقي في ظله المتضِعُ	ويصير التُّربُ تَبْرًا يسطع
يجتبي التوحيد عبدًا ثابرا	فيردُّ العبدَ خلقًا آخرا
فهو في الحق حثيث دائبٌ	دُمُه كالبرق فيه لاهِبٌ
ريبه يَفْنَى ويحيا العملُ	عينه في الكون يَقْظَى تعمَلُ
في «مقام العبد» إن تثبت قدم	جَرَّةُ السائل تُصبحُ جامَ جم ^{٤٥}
«لا إله» الروحُ في أمتنا	«لا إله» اللحنُ في نغمتنا ^{٤٦}
«لا إله» السرُّ في أسرارنا	«لا إله» السمطُ من أفكارنا
صار قلبًا إن حواها حجرٌ	كل قلب لم تُنِزْه، مَدْرُ
يتلظى الكون من زَفَرَتِها	ويضيءُ القلب من وَقَدَتِها
وئسَّيل القلبِ ماء في الصدور	تصهر المرأة منه في الحرور
شعلة في روحنا مثل الشقيق	كل ما نمتاره منها الحريق
بيّض التوحيد مُسوَدَّ البَشَرِ	فأبو بكر أخوه وعمر
ليس إلا القلبَ قَرَبٌ وابتعادُ	وهذه الكأس بها هاج الفؤاد
وحدة القلب قوام الأمة	أشرقَت سينا من ذي الجلوة
قد هدى الأمة سُبُلَ العمل	هذه الفكر بها والأمل

نزعةٌ واحدةٌ في قلبها
لا يُجيد الفكرُ في قيثاره
نحن في الإسلام أبناء الخليل
أُممٌ قد عَبدت أوطانها
أترى الأوطان أصل الأمم
إنما الأنسابُ فخرُ السفهاء
ضَمْنَا في الحق أسَّ آخرُ
قد خلصنا من حدود وقيود
ضَمْنَا، كالزُّهر، نظم مضمرُ
وُحِدَ الرئيُّ لنا والفكرةُ
نحن فكرٌ وخيال واحد
نحن من نعمائه حلفُ إخاء

فَعيارُ الحسن والقبح بها
دون نار الحق في أوتاره^{٤٧}
من «أبيكم» خذ إذا شئت الدليل^{٤٨}
وبنتٌ من نسب بنيانها
تُعبد الأرض بها كالصنم؟
حُكمها في الجسم، والجسمُ هباءُ
هو في الألباب منّا مُضمرُ
قلبنا في الغيب إذ نحن شهودُ^{٤٩}
بصر ليس يراه مُبصرُ^{٥٠}
كسهام جمعتها جعبةُ^{٥١}
ورجاءٌ ومآل واحد
قلبنا والروح واللفظ سواء

في معنى أن الخوف والحزن واليأس أمهاتُ الخبائث^{٥٢} وقاطعات طريق الحياة، وأن في التوحيد دواء هذه العلل الخبيثة

عُدَّة الموت قنوطٌ مُحيطُ
إنما العيشُ رجاءٌ يُوصَلُ
يأسك القبر إليه ترجع
رُبَّت الخيبة في أكنافه
أه من نوم الحياة المُخدير
كحله في العين يُعمي البصرا
نفسٌ منه سَمومٌ للحياه
وهو للغمّ حليف وإصلُ
يا سجينَ الغمِّ أبصر واسمع
ذلك النصح سرى في قلبه
إنما المسلم مثل الكوكبِ

والحياة الحقُّ أن «لا تَقْنَطُوا»^{٥٣}
فقنوطُ الحيِّ سَمٌ يَقْتُلُ^{٥٤}
إن تكنَ أَلْوَدَ فهو المصرع^{٥٥}
ونما العجز على الطافه^{٥٦}
إنه آية ضعف العنصر
ويرُد الصبح ليلاً أكدر^{٥٧}
كل ينبوع به جفٌّ ثراه
إنما الغمُّ لحيٍّ قاتلُ
من رسول الله «لا تحزن» وعي^{٥٨}
فغدا الصديقُ صديقاً به
باسمٌ في سعيه والدأبِ

حرَّ النفس من الغم ودَعُ
 قوة الإيمان تُحيي فاعلمنْ
 قلبه من «لَا تَخَفْ» قلبٌ سليمٌ
 خوفٌ غير الله قَتْلُ العملِ
 وبه العزم يخاف الغيرا
 من نما ذا البذر يومًا في ثراه
 فهو فلٌ وهو شادٍ يَعْرِفُ
 يسرق الرجلَ قُوَى تسيارها
 إن تجلَّى لعدوِّ خوفُكا
 سيفه يزداد فتكًا في اليد
 غلْنَا الخوفُ، وكم في بحرنا
 إن أبى النعمة يومًا مزهرُك
 فاعرُك الأذنَ يَثُرُ فيه الغناء
 كل شرٍّ في فؤادٍ يُضْمَرُ
 من ديار الموت عينٌ قَدِما
 عينه تلبس آثار الحياه
 يُزهر الخبُّ به والمَلَقُ
 ثوبه للزور سترٌ والريبُ
 حُرِمَ الخوفُ طموحَ الهمة

كلُّ مَنْ يفقه سرَّ المصطفى

يجدُ الإشراك في الخوف اختفى

محاورة السهم والسيف

قال سهم مرهف يوم الزحام
 يا مَنْ الجِنَّةُ في أعطافه
 قال للسيف وللحرب ضرام
 ذو الفقار العضبُ من أسلافه!^{٦٤}
 وعلى الشام نثرت الشفقا^{٦٥}
 خالدًا صاحبت يَفري الفيلقا

جَنَّةُ الفردوس مأوى ظَلِّكَ!
حيثما كنت، بجسمي شُعَلْتِي
بَصُرْتُ عيني بأحناء الصدور
ما به يأس ولا خوفٌ مقيمٌ
فكسوتُ الجسمَ دِرْعًا من دم
نوره الظاهرُ ممَّا يُبْطِنُ
وهمي نَصْلِي كقطرات الندى

نارُ قهر الله في جوهركا
إنني في الجوِّ أو في جَعْبَتِي
وإذا القوس رمتني للثُّبور
إن خلا الصدر من القلب السليم
نفذ النصل خلال الأعظمِ
وإذا حَلَّاه قلبٌ مؤمنٌ
ذاب روحي من فؤاد وقد

قصة السلطان عالمكير والأسد^{٦٦}

من بني تيمور فخر الدول
ولحكم الشرع فيه حُرْمَةٌ
في زياد الكفر عن ملَّتْنَا
فنما في طبع دارا يُزهَر^{٦٧}
وبدت أمتنا رهنَ فسادٍ
زاهد ربُّ حسام مُصلِتٍ
اجتباها أجلَ تجديد اليقينِ
وأُتار الدينَ في هذا الظلامِ
فكرهم عن قصده قد قصَّرا
في لظى الحق فراشًا يرتمي
زهده من قبره قد ظهر^{٦٨}
زينة العرش المليك الماجد^{٦٩}
معه من جنده ذو ثقة
سامعًا تسبيح طير في الشجرِ
من مجاز حثٍّ للحق خطاه
صوته يرعد منه الفلكُ
وعلى السلطان أهوى البرثنا

إنَّ عالمكير عالي المنزل
كان للإسلام منه عِزَّةٌ
آخرُ الأسهم في جَعْبَتْنَا
عَرَسَ الإلحاد فينا أكبرُ
وخبا في الصدر مصباح الفؤادِ
فتولَّى الهند في ذي المحنةِ
اجتباها الحق للدين المبينِ
أحرق الألحاد من برق الحُسامِ
حرَّف الجُهَّال عنه ما جرى
كان إبراهيم بيت الصنمِ
كان في الأملاك فردًا خيرًا
ذاكم المَلِك الفقير الجاهد
سار صبحًا مُوغلًا في غِيضةٍ
في نسيم الصبح نشوانَ حَطرٍ
وامحى السلطان في شوق الصلاة
وأتى ليث مهيبٌ فَتَكَ
شمَّ ريح الإنس بُعدا فدنا

فإذا الخنجر منه في اليد
لم يفزَع قلبه بالبغْة
ثم للحق دعاه الولهُ
مثل ذا القلب الذي لم يَهِن
إنما العبد أمام الحق «لا»
أيها الغافل! قلبًا حصلاً
ابذل النفس تَنَلْها لا مفرَّ
أحرقن بالعشق خوفاً وانهدا
باقراً كالبرق بطن الأسد
خال ليث الغاب ليث الصورة^{٧٠}
في صلاة الوجد معراج له^{٧١}
داره بالحق صدر المؤمن
وهو للزور «نعم» لن يَبْطُلَا^{٧٢}
هيئَن للحبِّ هذا المحملاً^{٧٣}
ذلَّ للحق تَنَلْ عَزَّ الدهر
حملاً في الحق ليثاً للعدى
إنَّ خوف الله إيمانٌ جلي
ثمَّ تقوى غيره شرك خفي

الركن الثاني الرسالة

تاركُ الآفل، من قَبَل الخليل
إنه لله فينا آية
«طَهَّرَا بَيْتِي» إليه أنزلا
قفرةً من أجلنا قد عَمَّرَا
«تُبْ عَلَيْنَا» نضرت زهرتها
صوّر الرحمن منّا هيكلًا
أحرفًا كنا ولسنا كلما
بالرسالات بدا تكويننا
ذاك من «يهدى إليه من يريد»
حلقة ذات محيط يُعَجِّزُ
نحن ممّا جمَّعتنا أُمَّة
موجُّنا في بحرهما متَّصل
أمةً في حرزِ سور الحَرَم
إن تحقّق ممعناً في كلمي
هُو للرُّسل على النهج دليل
رُبِّيت في قلبه ذي الملة
بعد سيل من دموع سُيْلَا^{٧٤}
وبَنَى البيتَ الذي قد طَهَّرَا
فَنَمَتْ في أرضنا روضتها^{٧٥}
وحباه الروح مما أنزلا
فتألّفنا كبيت نُظْمَا
شرعنا منها ومنها ديننا
حلقةً منها حوالينا يشيد^{٧٦}
ساحةً البطحاء فيها مركز^{٧٧}
أرسلت للناس فيها الرحمة
موجة من موجة لا تُفَصِّل
في حفاظٍ مثل أسد الأجم^{٧٨}
نظرة الصديق ربَّ الفهم

فالنبي الروح فينا والعصبُ	وإلى القلب من الربِّ أَحَبُّ
سِفْرُهُ في القلب نبع القوَّة	شَرَعه حَبَل وريد الأُمَّة
قطع حبلٍ منه للموت رديف	كذبول الورد في ريح الخريف
حيَّتِ الأُمَّة من ترياقه	صُبَّحها نُورٌ من إشراقه
وحَدَّ المرسلُ فينا النغما	والطوايا والمُنَى والألما
كثرةُ الأُلُف عيْنُ الوحدة	ومن الوحدة نَشءُ الأُمَّة ^{٧٩}
وحدة القصد حياة الكثرة	مقصد المسلم دين الفطرة
عَلَّمَ الفطرة خيرُ الرُّسلِ	فمضينا للهُدى كالشُعَلِ
بحره أخرج هذا الجوهرًا	نحن روحٌ واحدٌ منه سَرى
هذه الوحدة ما لم تفقِدِ	تحفظ المسلم حتى الأبدِ
ختم الله علينا شِرْعَتَهُ	وعلى المرسلِ فينا بعثته ^{٨٠}
محفل الأيام منا يَبَسُّمُ	خُتِمَ الرُّسلُ بنا والأُمم
خدمة الساقى إلينا صرفا	جامه الآخرَ فينا خَلَّفا
لا نبيُّ بعدُ» فضلٌ عُرِفَا	إنه حرمةُ دين المصطفى ^{٨١}
إنه قوة هذي الملة	إنه سرُّ اتحاد الأُمَّة
كلُّ دعوى بعدها للأقنِ	أَحْكَم الإسلامُ طولَ الزمنِ

ما سوى الحق قلناه المسلم

قائلًا: «لا قوم بعدي» فاعلموا

في بيان أن مقصود الرسالة المحمدية تمكين الحرية والمساواة والأخوة بين البشر

عبد الإنسانُ أصنامَ البَشَرِ	فهو في عُدَمٍ وذِلٍّ محتقر
قيصر العَسَفِ وكسرى قيِّدا	منه جيدا ثم رجلاً ويذا
ومن القسَّيس والمَلِكِ طِلابُ	بخراج الحقل، والحقلُ خرابُ
نصب الأَشْرَاقِ للصيد الضَرَعُ	بائع الجنَّةِ أُسْقِفَ الخُدَعُ
حقله قد عاث فيه البَرَهَمُنُ	ومجوسٌ أحرقت ما قد خَزُنُ

أضعف الرقُّ لديه الهممًا لَحْنُهُ فِي عودِهِ سَالِ دِمَا

* * *

وَأَمِينًا بَعَثَ الْمَوْلَى بِهِ سَلَّمَ الْحَقَّ إِلَى أَصْحَابِهِ
رَفَعَ الْعُبدَانَ بِالْحَقِّ إِلَى سُرَّرَ الْخَاقَانُ وَالزُّورَقَلَى
بَثَّ فِي بَرْدِ الرَّمَادِ الشُّعْلَا فَعَلَى بَرُويزَ فَرَهَاذُ عَلَا^{٨٢}
سَلَبَ السُّلْطَانَ حِزْبَ الْأَمْرَيْنِ فَسَمَا بِالْحَقِّ قَدْرُ الْعَامِلَيْنِ
عَزَمَهُ هَدًى قَدِيمَاتِ الصُّوَرِ وَبَنَى حَصْنًا جَدِيدًا لِلْبَشْرِ
بَثَّ رَوْحًا حَيَّتَ الْمَوْتَى بِهَا وَافْتَدَى الْأَعْبُدُ مِنْ أَرْبَابِهَا
مَوْلِدَ مَاتَ بِهِ الْعَصْرُ الْقَدِيمِ وَبَيوتُ النَّارِ وَالْوِثْنِ حَطِيمِ
أَزْهَرَ التَّحْرِيرُ فِي رَوْضَتِهِ هَذِهِ الصَّهْبَاءُ مِنْ كَرَمَتِهِ
عَصَرْنَا اللَّأْلَاءَ فِي أَنْوَارِهِ فَتَحَ الْأَعْيَنَ فِي أَحْجَارِهِ^{٨٣}
خَطَّ فِي الْعَالَمِ سَطْرًا مُبْدَعًا أُمَّةً فَاتِحَةً قَدْ أَبْدَعَا
صَدْرُهَا مِنْ وَقْدَةِ الْحَقِّ أَضَاءَ ذَرَّةً مِنْهَا أَنْارَتْ فِي ذُكَاةٍ
أَشْرَقَ الْكَوْنُ بِهَا إِذْ يَبْتَئِنِي كَعْبَاتٍ مِنْ بَيوتِ الْوِثْنِ
وَلَدَتْهَا الْأَنْبِيَاءُ الْقَدُمُ فَإِذَا الْآتَقَى لَدَيْهَا الْأَكْرَمُ
إِخْوَةً فِيهَا جَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ^{٨٤} طِينُهَا حَرِيَّةٌ فِي الْعَالَمِينَ
الْمَسَاوَاةُ لَدَيْهَا فِطْرَةٌ وَمِنَ التَّمْيِيزِ فِيهَا نَفْرَةٌ
نَسَلُهَا كَالسُّرُورِ حَرٌّ قَدْ عَلَا عَهْدُهَا أَحْكَمُ مِنْ «قَالُوا بَلَى»^{٨٥}

سَجْدَةُ الْحَقِّ بِسَيِّمَاهَا غُرَّرَ

قَبْلَ النُّجْمِ ثَرَاهَا وَالْقَمَرِ

قصة أبي عبيد وجابان في معنى الأخوة الإسلامية^{٨٦}

مُسْلِمٌ فِي حَوْمَةِ الْحَرْبِ أَسْرَ قَائِدًا مِنْ جَيْشِ كَسْرَى ذَا خَطَرٍ
قَائِدُ رَبِّ خِدَاعٍ مَآكِرُ عَجَمَ الْأَيَّامَ ذَنْبُ غَادِرٍ
لَمْ يَعْرِفْ أَسْرِيهِ بِاسْمِهِ أَوْ يَحْدُثُ أَحَدًا عَنْ وَاسْمِهِ
قَالَ لِلْأَسْرِ: يَا ذَا الْكَرَمِ أَمَنْنِي، ذَاكَ شَأْنُ الْمُسْلِمِ

وضع الجندي في الغمد الحسام
 وخبت في الحرب نيران العجم
 فإذا المأسور جابان الكبير
 أقبل الجند بصوت قارع
 بُو عبيد قائد العُرب الأبى
 قال يا قوم: ألسنا المسلمين
 من أبي ذرٍّ علّت أو حيدر
 كلُّ جنديٍّ أمينُ الملة
 إنَّ جابان عدوٌّ غشيمُ
 دُمهُ اليوم عليكم حُرماً
 أمة المختار! أوفوا الذمما

قصة السلطان مراد والعمار^{٨٩} في معنى المساواة الإسلامية

أخرجت أرضُ حُجَندِ صانعا
 صانعا فرهاد حقا ولدا
 غضب السلطان من تقصيره
 قدحت عينُ المليك الشررا
 سار للقاضي حزيناً يجأر
 قال: يا مَنْ قوله الحقُّ المبين!
 لستُ للسلطان عبداً فاسمعِ
 قرعَ الحاكم سنَّ المبلِسِ
 فأتى السلطانُ يخشى ذنبه
 عينه من خجلٍ للقدَمِ
 وقف الخصمان: خصمٌ يشتكى
 جهر السلطان: إني نادم
 وتلا القاضي: حياةٌ في القصاصُ

نال في التشييد صيتاً ذائعاً
 لمراد مسجداً قد شيّداً^{٩٠}
 لم يرَ الإتقانَ في تعميره
 ويدَ المسكين فوراً بترأ
 دُمهُ من يده يَنهَمِرُ
 يا حفيظاً شرعَ خير المرسلين!
 حَكَّم القرآنَ فينا واقطعِ^{٩١}
 ودعا السلطانَ نحو المجلس
 هيبَةُ القرآن تُدمي قلبه
 وعلى خديهِ لونُ الندَمِ
 وخصيمٌ في ثياب الملكِ
 لا أرُدُّ الحقَّ إني جارم
 ذاك قانونُ حياةٍ، لا مناص

ليس دون الحرِّ عبدٌ مسلمٌ وَحَدَّ المَعْمَارَ والمَلِكُ دُمُ
 سمع القرآن يُملِي حكمه فنضاً السلطانُ فوراً كمه^{٩٢}
 إذ رأى الخصمُ الذي قد فعلاً آيةَ الإحسانِ والعدلِ تلا^{٩٣}
 قائلًا: لله أعفو وكفى إنني أعفو لأجلِ المصطفى
 نَمْلَةٌ عَزَّتْ سُلَيْمَانُ القَوِيَّ انظرن سطوة قانونِ النبي
 جمع القرآنُ مولَى وفتاه وذوي التيجانِ سَوَى بالرعاہ

في بيان أن الأمة الإسلامية مؤسسة على التوحيد فلا تحدُّها الأمكنة

قلبنا الخفاق يأبى مَوطِنًا ريحه العاصف تأبى مسكنًا^{٩٤}
 ليس من هند وروم قلبنا ما سوى الإسلام فيه أرضنا
 كعبُ الشاعر في خير العباد أنشد المِدْحَةَ من بانَتْ سعادُ^{٩٥}
 نظم الدرَّ منيرًا في ثناه من سيوف الهند سيفًا قد دعا^{٩٦}
 مَنْ على الأفلاك فيه رفعةً لم ترقه لبلادِ نسبةً
 قال: سيف من سيوف الله قلَّ يا نصير الحق زورًا لا تقلَّ
 وكذاكم قال ذو القدرِ العلي مَنْ سَنَاه كحل عينِ الرسل:
 لي من دنياكم قد حُبِّبَا بعض ما فيها حلالًا طيبًا^{٩٧}
 إن تكن سرَّ المعاني تعلمُ فافهم النكتة في «دنياكم»
 كان في الدنيا وفيها ما سَكُنُ ذلك المشرق في ليلِ الزَمَنِ
 مِنْ سَنَاه قد تجلَّى العالمُ مُشرقًا إذ كان طينًا آدمُ
 لست أدري ما حماه والوطنُ أنا دارٍ أنه فينا سكن^{٩٨}
 قد رأى في أرضنا دنيا لنا وهو في الدنيا كضيف بيننا
 إذ أضعنا القلب في هذا الباب وفقدنا النفس في هذا التراب
 لا تحدُّ الأرضُ قلبَ المسلمِ لا يُرى في تيهِ أنى وكَمِ^{٩٩}
 ليس للمسلم في الأرض عَطَنُ حائرٌ في قلبه كلُّ وطنِ^{١٠٠}
 حصَّلِ القلبَ ففي وَسْعَتِهِ ضلَّ هذا الكونُ في فسحته

عقدة الأقوام حلَّ المسلمُ
أمةً ملء الدُّنَى قد أسَّسا
صارت الأرض لدينا مسجداً
ذلك المحمودُ في الذكر الحكيمُ
تفزع الأعداء من هيبتِه
فلماذا أرض أهليه هجر؟
حجب القصَّاصُ معنى القصَّةِ
هجرةً شرعُ حياة المسلمِ
إنها التَّسيار نحو الوُسعةِ
اهجر الزهرة أجلَّ الروضةِ
شرفُ الشمس مسيرُ مطلقُ
لا تكن نَهراً من السُّحبِ يُمَدُّ
اقصدن تسخير كلِّ العالمِ
لا يقيِّدك مُقامٌ في الوري
كل مَنْ حُرِّر من ذلِّ الجهاتِ
ترك الوردَ شذاه فسرى
يا أسيراً قد ثوى في روضةِ
سَيَّرنُ نفسك حرّاً كالصِّبا
هجر الدارَ الإمامُ الأعظمُ^{١٠١}
جعل التوحيد فيها أسَّسا
إذ أشاع الفضلَ فينا وهدي
ذلك المحفوظ بالله الرحيمِ
في ارتعاد من سَنَا طلعتِه
أتراه خشية الأعداء فر؟
غلطوا في فهم معنى الهجرة
هجرةً سرُّ ثبات المسلمِ
ولأجل اليمِّ ترك القطرة^{١٠٢}
إن هذا الخسر ربح الكثرةِ
فيه من فوق البرايا تخفق
وكن البحرَ، عُباباً لا يُحَدُّ
لتُرى سلطان أهلِ العالمِ
وكن الحوتَ يسيحُ الأبحرَا
فلك يُزهر من كلِّ الجهاتِ
في فسيح المِرجِ عطراً نَشرا
عندليباً هائماً في وردةِ!
ثم عانق كلَّ أزهار الرُّبَى
احذرن من خدعة العصر الجديدِ
التباس النهج حاذر يا رشيدُ

في بيان أن الوطن ليس أساس الأمة

قطَّعوا الأرحام بين الأخوةِ
قدَّسوا الأوطان إعجاباً بها
طلبوا الجنة في «بَيْسَ القَرَارِ»
محق الجنة هذا الشجرُ
صَيَّروا الأوطان أسَّ الأمةِ
قسَّموا الإنسان أسراباً بها
«فَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ»^{١٠٣}
ليس إلا الحربَ فيه ثمرُ

أنكر الإنسان وجه الإخوة
 ذهب الإنسان روحاً وانقضى
 منصب الدين حواه الساسة
 دين عيسى بطلت قصته
 عجز الأسقف عن تقديره
 قوم عيسى حقروا بيعته
 مزق الدهري ثوب المذهب
 ذا الفلورنسي عبد الوثن
 خطاً للأملاك سفراً منكراً
 مزق الحق بحد القلم
 آزر العصر، بدا تزويره
 جعل الملك إلها دينه
 جعل النفع عيار الذمم
 صارت الحيلة فناً مُحكما
 خطة للوهن فينا حبكاً
 وأرمد الناس بهذي الحكمة
 إذ دعا التزوير بالمصلحة

في بيان أن الأمة المحمدية ليس لها حدود زمانية أيضاً

أرأيت الطير في عرس الربيع
 وعروس الزهر نشوى النعم
 غسل العشب دموع السحر
 وإذا الكم على الغصن ربا
 دمي البرعوم من قطفته
 عشش الورق وطار البلبل
 ليس يكرى من ربيع رونق
 وهياج الكم والورد الينع
 وعلى الأرض قرى من أنجم
 وشدا الماء لنوم النهار
 منحته جبرها ريح الصبا
 ومضى كالريح عن روضته
 وشذى فرّ وطلّ ينزل
 حين تذوى زهرات تعبّق

لا يُبالي كنزُه ما يُهلك	محفل الأزهار باقٍ يضحك
هو أبقي من ورود وزهر ^{١٠٨}	موسم الأزهار أبقي في الدهر
معدن يُنمي ويُبدي الجوهر	لا يبالي جوهراً قد كُسرا
أكوُسُ تؤخذ من دَنِّ الدهر	كم شروقٍ وغروبٍ، لا مقرّاً!
تذهب الآماس والباقي الغد ^{١٠٩}	خمرةٌ من شربها لا تنفدُ
من مَسير الغدِ سيَّارِ القَدَمِ	ثابتٌ في الدهر تقديرُ الأممِ
يرحل الفرد وتبقى الأمة ^{١١٠}	يَسْفُرُ الخُلُ وتبقى الصحبة
ثم ذاتٌ وصفاتٌ آخر	ولها عيشٌ وموتٌ آخرُ
تولد الأمة من قلبٍ جليل	ينشأ الفرد من الطين القليل
ويعيش الفرد عَشْرَ سنين	نفسُ الأمة يُحصى بالمئتين
وحياة الشعب في حفظِ السُننِ	وحياة الفرد روحٌ في بدنِ
موتٌ قوم ترك قصدٍ للحياه	موت فرد نضب وِرْدٍ للحياه

* * *

ولها يوماً قضاء يُحتَمُّ	كممات الفرد تفنى الأمم
أصلها الميثاق في «قالوا بلى» ^{١١١}	أمة الإسلام تأبى أجلا
«نحن نزلنا» لديها حجة ^{١١٢}	لا تخاف الموت هذي الأمة
بدوام الذكر دام الذاكر ^{١١٣}	دام ذكرٌ ما أقام الذاكر
قال ربي عالماً: «أن يطفئوا» ^{١١٤}	ذلك المصباح أنى يُطفأ؟
أمة يعشقها أهل القلوب ^{١١٥}	أمة الحق إلى الحق تُنيبُ
مصلتٌ من غمدِ آمال الخليل ^{١١٦}	مصلتٌ بالحق ذا السيف الصقيلُ
ليعيد الحق حياً نطقه	ما سوى الحق محاه برقه
للكتاب اختارنا والحكمة ^{١١٧}	نحن للتوحيد أقوى حجة

* * *

مخفياً في صدره تاتاره	أضمر الدهر علينا ثارَه
ورمى بالطود من أثقالها	أطلق الفتنة من أحبالها
نظرة من طرفها قتلَ عمم	فتنةٌ موطئها هامُ الأمم
ليس للأمس بمثواها غد	ألفٌ هَوُلٍ في حشاها يرقد

ما رأيت بغداداً روما ما رأيت	سطوة الإسلام للترب هوت
محدث الأفعال ذا المكر القديم	لكن اسأل ذلك الدهر المليم
حَلِينَا كان نثارُ الشرر ^{١١٨}	روضنا كان لهيبُ التتر
وإلى المولى لدينا نسبة	فلإبراهيم فينا فطرة
نار نمرودِ رددنا كوثرنا	من لهيب قد جنينا زهرا
زهرات حين تأتي روضنا	كل نار يوقد الدهر لنا

* * *

شرقها أقوى وأقوى المغرب	ذهب الروم وفُضَّ الموكب
حان يونان خراب مُظلم ^{١١٩}	كأس ساسان من الغم دَم
وثوت أعظمها في الهرم	وعنت مصر لدهر عريم
أمة الإسلام تبقى أبدا	وأذان الحق فينا خلدا
وبه أجزاءه شددت قواه	إن للكون من العشق حياه
شبهها من، لا إله، الشرر ^{١٢٠}	أحييت العشق قلوب تُسعر

إن نكن كالكُم نطوى كمدا

فردانا فيه للروض ردى^{١٢١}

في بيان أن الأمة لا تنتظم بغير شريعة وشريعة الأمة المحمدية القرآن

ككثيب من رمال وهنا	أمة خلَّت يداها السُننا
ذلكم باطن دين المصطفى	سيرة المسلم شرع وكفى
وهي من دون نظام ضجة	بانتظام الصوت تعلو النغمة
يعلق النظم به فهو غناء	إنما في الحلق موج من هواء
أي سرّ ضمنت قدرتك؟	صاح هل تعلم ما سُنتكا؟
حكمة في الدهر تبقى لا تريم	الكتاب الحي والذكر الحكيم
يستمد النكس أيّداً من قواه	إن فيه سر تكوين الحياه
أيّه لا لبس أو تأويل فيه	لفظه لا ريب أو تبديل فيه
وبها يرمي الزجاجُ الحجرنا	قوة فيه تشدُّ الخورا

قَطَعَ الْأَشْرَاكَ عَنْ صَيْدِ كَسِيرٍ فِدَعَا الصَّيَّادُ مِنْهُ بِالثَّبُورِ
 ذَا بِلَاغٍ آخِرٍ لِلْمُرْسَلِينَ قَدْ تَلَاهُ «رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ»
 تَرْفَعُ الْخَامَلَ فِيهِ رَفْعَةٌ وَتَقِيمُ الرَّأْسَ مِنْهُ سَجْدَةٌ
 قَاطِعُوا الطَّرْقَ هِدَاةً صُيِّرُوا مِنْ كِتَابٍ، كَمْ كِتَابٍ سَطَّرُوا
 وَالْبَوَادِي مِنْ سِرَاجِ زَهْرَا قَدْ أَضَاءُوا بِالْعُلُومِ الْفِكْرَا^{١٢٢}
 الَّذِي يُصَدِّعُ مِنْهُ الْجِبْلُ وَعَلَى الْأَفْلَاكِ مِنْهُ وَجَلُ^{١٢٣}
 ذَلِكَ الْيَنْبُوعُ مِنْ أَمَالِنَا قَدْ حَوَاهِ الصَّدْرُ مِنْ أَطْفَالِنَا
 انْظُرْ الظَّمَانَ فِي حَرِّ الْقَفَا عَيْنُهُ حَمْرَاءُ مِنْ وَقْدِ النَّهَارِ
 عَنَسُهُ كَالظَّبْيِ فِي تَعْدَائِهَا دُمُّهَا كَالنَّارِ فِي رَمَضَائِهَا
 طَائِفُ الصَّحْرَاءِ يَأْبَى الْجُدْرَا ضَارِبٌ فِي الْبَيْدِ يَقْلِي الْحَضْرَا
 خَفَقَتْ فِي قَلْبِهِ هَذِي السُّوْرَ فَاسْتَقَرَّ الْمَوْجُ فِيهِ كَالدُّرْرِ^{١٢٤}
 قَرَأَ الدَّرْسَ مِنَ الْآيِ الْمَبِينِ فَغَدَا بِالْحَقِّ حَرًّا لَا يَمِينُ
 حَكَمَ الدُّنْيَا جَمِيعًا عَدْلُهُ عَرْشُ جَمٍّ وَطِئَتْهُ رِجْلُهُ^{١٢٥}
 مُدْنًا قَدْ شَيَّدَتْ هَبْوَتُهُ وَرِيَاضًا أَنْبَتَتْ زَهْرَتُهُ^{١٢٦}

* * *

إِنْ إِيْمَانِكَ فِي قَيْدِ الرُّسُومِ سَنَّ الْكُفْرَ لَكَ السَّجْنَ الْمُقِيمُ
 أَمْرُكُمْ قَطَعْتُمْوْهُ «زُبُر» مُسْرِعِي السَّيْرِ إِلَى شَيْءٍ نُكْرُ^{١٢٧}
 سَكْرُ الصُّوفِيِّ مِنْ أَحْوَالِهِ وَانْتَشَى بِاللَّحْنِ مِنْ قَوَائِلِهِ^{١٢٨}
 قَلْبُهُ شَعَرَ الْعِرَاقِيَّ تَلَا وَمِنَ الْقُرْآنِ أَقْوَى وَخَلَا^{١٢٩}
 تَاجُهُ وَالْعَرْشُ صَوْفٌ وَحَصِيرُ فَفَقَرَهُ يَجْبِي رِبَاطًا لِلْفَقِيرِ^{١٣٠}
 وَأَخُو الْوَعْظِ جَزَافًا قَائِلُ كَلِمٌ عَالٍ، وَمَعْنَى سَافِلُ
 قَوْلُهُ مِنْ دِيْلَمِيٍّ وَخَطِيبُ فَعَلَهُ حِلْفٌ ضَعِيفٌ وَغَرِيبُ^{١٣١}

لِكِتَابِ اللَّهِ حَقًّا. فَاقْرَأَنَّ

كُلَّ مَا تَبْغِيهِ مِنْهُ فَاطْلُبَنَّ

في بيان أن التقليد في زمن الانحطاط أولى من الاجتهاد

عصرنا هذا مليء بالفتن محفل الماضين فيه مقفر
أنكرت أنفسنا أنظارنا شعلة التوحيد فينا سلبا
وإذا ما اعتلّ تقويم الحياه سننُ الآباء حبلُ الملة
يا خليّا في خريفٍ من ثمرٍ قد حُرمتَ البحر فاذاكر خُسركا
فعسى سيلُ الجبال الهادرُ حالُ إسرائيلَ فيها تبصره
انظرن كيف ابتلاها الزمنُ وجهُها في كل حين يُلطمُ
عصرت عنقودها كفُ الخطوبُ إن خبا في اللحن منها قُبسُ
سار في إثر الجدود المحملُ يا من انفض له جمعُ وجاه
آية التوحيد في القلب اسطرا اجتهدُ في زمان القهقري
اقتداءً برسوم الأولين لم يُصب آبائنا بالهوس
فكرهم كان رقيقًا مرهفًا فِكرُ الرازي ونجوى جعفر
ضيق الدين علينا يسره قد جهلت الدين عنه حائدا
باح لي بالسِرِّ نبأض الحياه وحدة الشرع حياة الأمة
طبعه خلقُ شرور ومحن صوّحت فيه حياة تنضّر
وجفت نغمتها أوتارنا ناره والنور منّا سلبا
فمن التقليد للقوم نجاه ومن التقليد جمعُ الأمة
ارقب الغيث ولا تجفُ الشجر^{١٣٢} يا قليل الماء واحفظ نهركا^{١٣٣}
منه في مجراك لجّ زاخرُ إن تكن روحك روحًا مبصره
وعرّتها في الخطوب المِحنُ كاد في أعراقها يَفنى الدم
نكّر هارون وموسى في القلوب لم يزل في الصدر منها نفسُ
حينما انفضّ لديها المَحفلُ وخبا في صدره شمعُ الحياه
ومن التقليد أمسك بالعُرى يذهبُ الأقوام منه شذرا
هو أولى، لا اجتهد الغافلين طهرتُ أعمالهم كالأنفُسِ
فعلهم أوفى بشرع المصطفى أين؟ والعُربُ هداة البشر
وَدَّعى كلُّ لئيم سِرّه الزمَنُ يا حُرُّ نهجًا واحدا
أنما في الخلف مقراض الحياه^{١٣٤} فمن القرآن روح الملة

نحن طيِّينٌ وهو قلب لا جَرَمٌ هو «حبل الله» من شاء اعتَصَمَ
فانتظم في سلكه كالدررِ
أو غبارًا في الرياح انتثرِ

في بيان أن كمال سيرة الأمة من اتباع الشرع الإلهي

لا تَقْلُ في الشرع معنًى مُضْمَرٌ	ليس إلا النور تحوي الدُرُّ
جوهرٌ أبدع فيه القادرُ	جوهر باطنه والظاهرُ
ليس علمُ الحق غيرَ الشُّرْعَةِ	ليس غيرَ الحب أصلُ السَّنَةِ
شرعنا للفرد مِرْقَاةُ اليقينِ	ترتقي منه مقاماتُ اليقين ^{١٣٥}
شِرْعَةُ الحق نظامُ الأممِ	ومن النظم دوامُ الأممِ
إن فيه الأيدِ يا من أخلَصَا	اليَدُ البيضاء فيه والعصا
قام للإسلام بالشرعِ قوامُ	بدؤه الشرع وبالشَّرعِ الختامُ
لك أُبْدِي نكتةَ الشرعِ المبينِ	أَنْتَ مَنْ في حكمة الدين أمينُ:
إن يعارض ذو عنادٍ مسلمًا	في أداء النفل ما إن لزمَا
صار هذا النفلُ فرض الأمةِ	فالحياة الحق عين القدرةِ
وإذا جيشُ عدو في الوغى	ترك الإعدادَ والسلمَ بَغَى
وقضى أوقاته في الدعةِ	تاركًا للحرب أخذَ العُدَّةَ
فحرام أخذه بالبغْةِ	قبل أن يأخذ كلَّ الأهبةِ
سرُّ هذا الأمرِ يا ذا البصرِ:	الحياة العيشُ بين الخطرِ
يتحدَّك برضوى العاليه	في امتحانٍ لقواك العاتيه ^{١٣٦}
ويناديك أن اقصمَ ظهرها	وبحدَّ السيفِ فاصهر صخرها
ليس كفاءَ الليثِ في صولتهِ	حملٌ يرجف في ذلتهِ
إن حكى الصعوةَ صقرٌ كاسرُ	فهو كالصعوةِ وإِهْ خائِرُ
كتب الشارِعُ ربُّ الحكمةِ	لك هذا اللوحَ، لوحُ القدرةِ
يشحذ العزمَ بنار العملِ	ويرقِّيك لأعلى منزلِ
وإذا تَلَغَّبَ يعطيك القوى	ويربِّي منك طودًا ما خوى

إن دين المصطفى دينُ الحياه
 إن تكن أرضًا يصيرُكَ السماءُ
 يصقل المرأةَ من صخر شديد
 ضيَّع القومُ شعارَ المصطفى
 ذلك الغصن العسيّ المعتلي
 الذي البطحاء أزكت غرسه
 أذبلته اليومَ ريحُ العجم
 قاتلُ الآساد ذبحَ الغنم
 من أذاب الصخرَ من تكبيره
 من علا الطودَ سريعًا مُصعدا
 من برى الأعناق ضربًا عَضْبُهُ
 موقظ الآفاق من خطواته
 من أطاع الناس طرًّا أمره
 رضي القُنع وأكدى جِدُّه
 شيخنا أحمدُ من في قربه
 قال يومًا لمريد فهم
 فكرهم إن كان للنجم ارتقى
 يا أخي فاسمع لهذا الرشدِ
 وبهذا الحق فاشدُّ قلبكما
 واتبع العُربَ تُصب شرعتكما

في بيان أن حسن سيرة الأمة من التأدب بالآداب المحمدية

سائلٌ مثل قضاء مبرم
 بالعصا صُلت عليه غضبا
 إن هذا العقل في شرخ الشباب
 ورأى الوالدُ فعلى فنفر
 صاح بالباب بصوت مبرم^{١٣٨}
 فهو من يده ما قشبا^{١٣٩}
 لا يبالي بضلال وصواب
 وذوى في وجهه روض الزهر

آهة في فمه تلتهب
كوكب في عينه قد ومضا
روحي الغافل في الجسم ارتعد
مثل فرخ في الخريف انتفضا
قال لي الوالد: يومَ المحشر
الغُزاة الغرُّ من أمته
والنجوم الزُّهرُ أرباب الصفاء
وأولو العلم وأرباب القلوب
وعلا في لُج هذا المحشر
أيها الحائر في ذا الموكب!

قلْبُهُ في صدره يضطرب
نورُ الهُدب قليلا ومضى^{١٤٠}
ومضى الصبر وخلّاني الجلدُ
من رياح الليل في العش قَصَى
تلتقي أمةٌ خير البشرِ
وأولو الميراث من حِكْمته
حجة الدين فريق الشُّهداء
وأولو الزهر وأصحاب الذنوب
صوتُ هذا السائل المنكسرِ
ما جوابي حين يلحاني النبي

قد حباك الحق طفلا مسلما

لم تُنلّه من كتابي مغنما

هيّن الأشياء قد شقّ عليك

لم يَصِرْ ذا الطينُ إنساناً لديك^{١٤١}

وأنا في العتب من خير الرسل
أفكرن في الأمر واذكريا بُني
لحيّتي البيضاء في الحشر انظري
لا تزد عبء أبيك الوهن
أنت كم في فروع المصطفى
نظرة من روضه فالتمس
مرشد الروم الذي قطرته

بين خوف ورجاء وخجل
أمة المختار إذ ترنو إليّ
رعدتي في الخوف والحزن اذكر
عند مولاي غدا لا تُخزني
فتفتّح في ربيع المصطفى
وسنا من خلقه فاقتبس
قد حوت بحرا، سمت قولته:^{١٤٢}

لا تجدّ الحبل من خير البشر

لا تقل عندي فنون وبصر

فطرة المسلم طرا رافة
العظيم الخلق من شق القمر
لست من معشرنا فاعتزل
طائر أنت على دوحتنا

قوله والفعل كلُّ رحمة
رحمة عمت ونور للبشر
إن تكن منه بعيد المنزل
شدوّه والحن من نغمتنا

إن تكنْ ذا نغمة لا تُفرد بسوى بستاننا لا تُغرد^{١٤٣}
كل من أوتي حظاً من حياه في سوى بيئته يلقي رداه
بلبل أنت؟ ففي الروض امرح ومع السَّرب بلحنٍ فاصدح
إن تكن صقراً فلا تغش البَحَارُ ليس إلا خلوة الصحرَاء دار^{١٤٤}
أو تكن نجماً فنور في سَمَاك لا يكن مَسْرَاك إلا في الحَبَاك

* * *

قطرَ نيسانَ اجمعن إن تردِ واجعلن في الروض مأواه الندي^{١٤٥}
لتراه مثل قطراتِ الندى تحضنُ الأكمامُ منها ولدا
وانشف الأنداء من جواهرها واسلب اللآلء من عنصرها
بشعاع الصبح وضاء البُكر الذي من سحره ينمو الزَّهر^{١٤٦}
لن ترى دُرَّكَ إلا كالحباب لن ترى سعيك إلا في سراب
ألقها في اليمِّ تُعقدُ جوهرا مأوها يسطع نجماً نيِّرا
قطرُ نيسان عن اليمِّ نأى لجفاف، لن تراه لؤلؤا

* * *

طينةُ المسلم درُّ يا بُنيَّ مأوها والنورُ من بحر النبيِّ
قطرَ نيسان! فغُصْ في موجه وابرزن، درًّا صفا، من لجه
صاح! من شمس الضحى كن أنورا
كن ضياءً ليس يخبو الدهرا

في بيان أن حياة الأمة تحتاج إلى مركز محسوس وأن مركز الأمة الإسلامية البيت الحرام

عقدةٌ تنحلُّ من أمر الحياه حين أفشي لك من سرِّ الحياه:
كخيال جفلت من نفسها حرَّة قد نفرت من حبسها^{١٤٧}
وقتها ما فيه أمْسُ وغدُ في دُنَى الأوقات ليست تُصَفدُ
انظرن نفسك حيناً واعتبرْ لست إلا جَوْلَانًا يستمرُّ

شعلة فيها أعدت سترها
 ماؤها قد عقدته في دُرر
 نارها في نفسها تخفي الحريق
 فكرك العاجز عنها أوهما
 ما أوى للعش هذا الطائر
 هو حرّ وحواه مَحْبِس
 ريشه ينسل طيرًا كل حين
 عُقدًا تعقد في أعمالها
 تسكن الطين على إسراعها
 كم لحون في جواها رُقِد
 في سهول كل حين وحزون
 إن تكن كالريح تأبى محبسا
 حولها من خيطها ناسجة
 هي في العُقدة مثل الحبة
 تفتح العين على ما تُضمّر
 خلعة الطين عليها تُرَفَد
 تؤثر الخلوة في الجسم الحياه
 هكذا سنّة ميلاد الأمم
 إنما المركز روح الدائرة
 ومن المركز للقوم نظام
 نقطة المركز منّا الحرم
 نفس في صدرنا يتقد
 من نداء نُضرت أغصاننا
 نحن من دعواه في الدنيا دليل
 صوتنا يندى به في الأمم
 وحد الملة طوف حوله
 وُحِدَتْ في حَسْبِهِ كثرُتنا

من دخان فأشاعت سرّها
 ليُرى السيرُ سكونًا في النظر
 وتُرى في الغصن أزهار الشقيق^{١٤٨}
 طيرانَ اللون وردًا جُسمًا^{١٤٩}
 هو طيرٌ وهو لون طائر^{١٥٠}
 وهو في النوح لحنًا ينبس^{١٥١}
 يخلق الأسباب منه كل حين
 وتحلّ العَقد في تجوالها
 لتزيد السير في إهطاعها^{١٥٢}
 يومها ميلادُ أمسٍ وغدٍ
 كل حين في اختراع وفنون
 تنزل الصدر فتدعي نفسا
 حولها من خيطها عاقدة
 مضمّر فيها فروع الدوحة
 فإذا الدوحة منها تَظهر
 فإذا عين وقلب ويد^{١٥٣}
 وتجلّي نشأة العمّ الحياه^{١٥٤}
 مركزٌ فيه حياةٌ تنتظم^{١٥٥}
 نقطة، فيها محيط، ضامرة
 ومن المركز للقوم دوام
 لحننا والوجدُ فينا الحرم
 روحنا الغالي، ونحن الجسد
 حيّ من زمزمه بستاننا
 نحن فيه من براهين الخليل^{١٥٦}
 واصلا مُحدّثنا بالقدم
 فهي صبح قد حوى صدرُ له
 أُحْكِمَتْ من وحدة قوتنا^{١٥٧}

إِنَّ فِي الْجَمْعِ حَيَاةَ الْأُمَمِ إِنَّ هَذَا الْجَمْعَ سِرُّ الْحَرَمِ

* * *

أيها المسلم يا ذا البَصَر! قوم موسى عبرةً فاعتبر
 زهدوا في مركز قد جمعا فتراهم في البرايا قطعاً^{١٥٨}
 يا عليلاً شاكياً جورَ الزمن يا أسيراً غَلَّه وَهُم وظنَّ
 اجعلن ثوبك ثوب المحرم أطلع الصبح بليل مُظلم
 افنْ كالآباء ما بين السجود اسجدن حتى تُرى عينَ السجود^{١٥٩}
 من خشوع المسلمين الأولين سيطروا بالحق بين العالمين
 في سبيل الحق شوًكاً وطئوا
 فإذا الروضةُ هذا المَوطِئُ

في بيان أن الاجتماع الحقيقي من الاستمساك بمقصد،
 ومقصد الأمة الإسلامية حفظ التوحيد ونشره

اعرفن عني لسان الكائناتُ ففعال الكون فيها كلمات
 ينظم المقصدُ أشتات الحياه فتراها «مطلعاً» راع الرواه^{١٦٠}
 طُرفنا من تحت مهمازِ الطلبِ صرصرُ ما ندَّ عنه من أربُ
 إنما يُبقي الحياةَ المقصدُ هو أشتات قُواها يَنْضِدُ
 حينما تدري الحياةَ المطلبا تجعل الكون إليه سببا
 وبه الأشياء طرّاً تنقُد فتردّ الشيء أو تعتقد^{١٦١}
 يُبحر الرُّبَّانُ أجلَ الساحلِ وإلى المنزل سَيرُ السابلِ
 وعلى قلب الفراش الحُرْقُ لسراج حوله يحترق^{١٦٢}
 طاف قيسٌ في الصحاري ولها قاصداً ليلاه يرجو وُضُلها
 ما اقتفينا في الصحاري أثراً مُنذ ليلانا أقامت في القرى
 إنما المقصودُ روح العملِ كيفه والكمّ منه تجتلي^{١٦٣}
 دُورانُ الدم في أعراقنا مسرعٌ بالجدِّ في أغراضنا
 الحياة الحق منه تستعزّ تجمع النار به مثل الشِقْرِ^{١٦٤}

هو مضرابٌ لَعُودِ الهَمَّةِ
 حرَّكَ الأَعْضاءَ في ركبِ البشرِ
 فكُنَ المَجْنُونُ في هذا الحَبِيبِ
 أْبَدَعَ القَمِي فيمَا أَسْمَعَا
 رامَ نَقْشَ الشوكِ حينًا رَجُلُ
 لَحْظَةً يا صاحِبِي إِنْ تَغْفُلِ
 ناكِمُ العالَمِ دَيْرُ قَدُما
 كَمَ وَكَمَ يُنْبِتُ من مَقْصَبَةٍ
 كَمَ تَدَمَّتْ من يَدِيهِ رَوْضَةٌ
 كَمَ تَرَى نَقْشًا وَكَمَ تَمَحُو يَدَاهُ
 كَمَ من الأرواحِ بُثَّتْ أَنَّهُ
 وَرَجالَ الزورِ دَهْرًا رَبَّبا
 ثمَ في طِينِكَ إيمانًا بذرِ
 نَقْطَةً دارَ عَلِيها العالَمُ
 قوَّةَ فِيها تُدِيرُ الفَلَكا
 لَوْلُؤَ البَحْرُ نَما من نورِها
 نَفَحَها صَيَّرَ طِينًا سَنبُلًا
 في عروقِ الكَرَمِ مَنها شُعْلَةٌ
 لَحَنَها في مِزْهَرِ الكَوْنِ اسْتَتَرَ
 نَغَماتٌ فيكَ تَسْري كالِدَمِ
 كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ مَنكَ المَقْصِدِ
 الجِهادِ المَرُجِلُ حِلْفُ المَسلَمِ
 أَنْتَ لا تَدْرِي بِأَيّاتِ الكِتابِ
 أَنْتَ في الأَيامِ نورٌ وَبَصَرُ
 ادْعَوْنَ كُلَّ لَبِيبٍ، أْبْلَغِ
 قَوْلُهُ ما فِيهِ نُطْقٌ عَن هَوَى
 نَبَضَ هذا الكَوْنُ قَدْ جَسَتْ يَدَاهُ

مركز يجذب كل القوَّة
 جامِعًا شَتى عِيونَ في نَظرٍ^{١٦٥}
 طُفَّ بِهِ طُوفَ فِراشَ بالِلَهيبِ
 علَّمَ الأوتارَ مَعنى مُبَدَّعا^{١٦٦}
 فاختَفى عَن ناظِرِيهِ المَحْمَلِ
 أَلْفَ مِيلَ زادَ بُعْدُ المَنزَلِ
 بامْتِزاجِ الأَمْهاتِ انتَظَما^{١٦٧}
 لِيَراعَ فِيهِ نارَ النُوحَةِ
 لِتُربِّيَ من شَقِيقِ زَهْرَةٍ^{١٦٨}
 لِيُرى نَقْشَكَ في لُوحِ الحِياهِ
 لَتُعالَى من أذانِ نَغْمَةٍ^{١٦٩}
 وَعَلَى الأَحْرارِ وَاللّٰى الحَرَبِا
 كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ من فيكَ نَشْرُ
 كَلِمَةٍ صَارَ إِلِياها العالَمُ
 وَبِها الشَّمْسُ تُنْزِرُ الحَلْكا
 وَبِهِ المَوجُ طَما من نورِها
 وَجَدُها صَيَّرَ ريشًا بَلْبَلًا^{١٧٠}
 وَبِطِينِ الكَأْسِ مَنها لَمْعَةٌ
 أَيّها العازِفُ! يَدْعوكِ الوَثَرُ
 أَعْمَلِ المَضْرابَ في ذا النَغَمِ
 أَنْتَ لِلتَّكْبِيرِ فِيها تَوجِدُ^{١٧١}
 أَوْ يُدَوِّي الحَقُّ بَينَ الأُمَمِ
 أَمَّةُ العَدْلِ يَسْمِئُنا الخُطابُ
 شَاهدَ أَنْتَ عَلى كُلِّ البَشَرِ^{١٧٢}
 وَعَن الأُمِّيِّ قَولًا بَلَّغِ
 صَادِقُ ما ضَلَّ يَوْمًا أَوْ غَوَى^{١٧٣}
 فَتَجَلَّى سَرُّ تَقْوِيمِ الحِياهِ

نَضَّرَ الأزهار في رَوْضِ الدهرِ ومحا الأدناس عنها والكدرُ
دينه فيه الحياة الخالده لا تراها عن هُداة حائده
أيها التالي الكتاب المنزل شمَّرن، لا تقْعُدن عن عمل
يعشق الأصنامَ عقلُ الأمم ناحَتْ أو عابِدُ للصنم
هو أحياءُ سُنَّةٍ من آزرا محدِّثًا فيها إلهاً للورى
اسمه لون ودار ونسب هو من سفك دماء في طرب^{١٧٤}
وعَلَى أقدام هذا الصنم ذُبِحَ الإنسانُ ذبح الغنم
أيها الشارب من كأس الخليل! يا حَمِيَّ النفس من طاس الخليل!
سيفَ «لا موجود إلا هو» خذ وبه الأصنام هذي فاجذُذْ
في ظلام الدهر أشْرِقْ للملا وانشرن حقًا عليك اكتملا^{١٧٥}
خجلتَ لك في اليوم العسيرُ حينما يسألك الهادي البشيرُ:
قد أخذت الحق عَنِّي ما دهاك لم تَبْلُغه بحقٍّ لسواك!

في بيان أن توسيع حياة الأمة بتسخير قوى العالم

مؤمَّنًا بالغيب غير الغافل! كارهاً كالسيل قيد الساحل!
اعلُ عن ذا الطين غصناً ناضراً وصلِ الغائبَ واغزِ الحاضرا
ذلك الحاضر تفسير الغيوبُ وهو مفتاح لتسخير الغيوبُ
ما سوى الله لتسخير العملِ صدره للرمي، فاقذف لا تُبَلْ
ما سوى الله تراه يُخَلِّق لترى سهمك فيه يمرق^{١٧٦}
عقدةً تلقاك بعد العقدة ليُرَى في الحلِّ لُطْفُ الحيلة
فسرن يا كِمْ! روضاً نفسكا سخرن يا طلُّ! ذي الشمس لكا
من يسخر عالم الحسِّ سما ومن الذرة يُخرج عالماً
كل ما في الكون من بحر وبرِّ لوح تعليم لأرباب النظر
أيها النائم طالت غفلته عالم الحس جفته همته
قم وفتِّح بصرًا قد سُكِّرا لا تحقِّر عالماً قد حُقِّرا

إنه توسيعُ ذاتِ المسلم
هو يبلوك بسيف الزمن
اضرب الصدر بفهر القوة
جعل الحق الدُّنَى للخيرين
هذه الدنيا طريق الظَّعن
فأسرَّنها قبل أن تأسركا
أدهمُ الفكر الذي يطوي الفضاء
ساقه في الكون حاجاتُ الحياه
يبتغي في الكون تسخير القوى
نائبُ الحق، بحق آدم
لك من ضيقك منها سعة
صهوةُ الريح اعلوَّنها أمرًا
شقَّ قلب الطود عن جوهره
ألفُ كون في فضاء تُكفَّتُ
بشعاع أظهرنُ ما احتجبا
من شعاع الشمس نارًا فاقبس
ثابتُ الأنجم أو سيَّارها
كلُّها يا صاح عبداً لكا
سيَّرنُ فكرك فيها عَسَسَا
افتح العينَ وأنعمَ نظراً
كم ضعيفٍ في قوِّي أمرًا
أيها المقصود من أمر «انظروا»
قطرةٌ من نفسها ذاتُ خَبَرٍ
وهي في البحر تراها جوهرًا
كالصَّبَا لا تهفُ حول الصُّورِ
دون مضرابٍ لحونًا سيَّرا
أيها الظالع في حَزَنِ الحياه

وامتحانُ لصفاتِ المسلم
لترى أن دماً في البدن
اختبر عظمك في ذي الصدمة
وجلاها لعيون المؤمنين
هذه الدنيا محكُّ المؤمن
لا تُضعُ في جوفها جوهرَكَ
والذي يجتاز آفاق السماء
فهو في الأرض وفي النجم خطاه
لتُرى فيه بأعلى مستوى
حكمه في الأرض ماضٍ حاكم^{١٧٧}
ولأعمالك فيها فسحةُ
ألجمنُ هذا الجواد النافرا
شقَّ موج البحر عن درِّ به
رُبَّ شمسٍ قد حوتها ذرَّةُ
واكشفنُ عن كلِّ سرٍّ حُجبا
ومن السيل بروقاً فاخلس^{١٧٨}
التي قد عُبدت أنوارها
وإماءٌ سخَّرت من أجلكا
سخَّرن آفاقها والأنفسا
أبصرن في الراح معنَى مُضمرا
حين في الكون أجال البصرا
كيف في آفاقها لا تنظر؟^{١٧٩}
خمرةٌ في الكرم، طلُّ في الزَّهر
جوهراً كالنجم في الليل سرى
اطلبنُ في الروض معنى الزَّهرِ
ومن الأحرف طيِّراً طيِّراً^{١٨٠}
أيها الغافل عن طعنِ الحياه

بَلَّغَ السَّعْيِ الرِّفَاقَ الْمَنْزِلَا أَنْزَلُوا لَيْلَى وَحَطُّوا الْمَحْمِلَا
وَبَقِيَتْ الْيَوْمَ قَيْسًا مَبْلِسَا فِي الصَّحَارِي عَاجِزًا مُسْتَيْسَا
«عَلَّمَ الْأَسْمَاءَ» فَخَرَّ الْأَدْمِي^{١٨١}
حِكْمَةُ الْأَشْيَاءِ نَصَرَ الْأَدْمِي

في بيان أن كمال حياة الأمة أن تشعر بنفسها كالأفراد وأن توليد
هذا الشعور وتكميله من الاحتفاظ بسنن الأمة ورواياتها

أرأيتَ الطفلَ يا ذا البَصَرِ! ليس يدري ما قريبٌ وبَعِيدٌ
ما سوى الأمِّ يرى منه الجَفَاءُ ليس تدري أذنه ما النَغْمَةُ
فكره غُفْلٌ ضعيفُ الأثرِ ليس في تفكيره إلا السؤالُ
كل نقشٍ عنده ينطبعُ عينه إمَّا بكفٍّ تُطَبَّقُ
فكره في الجوّ واه حذرُ خلف صيدٍ في حِذَارٍ يُرْسَلُهُ
ثم غشاه لهيبُ الفِكرِ فتراه عينُهُ مُسْتَعِلِنَا
ومن الذكرى ينمّي نفسه ينظم الأيامَ خيطَ الذهبِ
جسمه يُرمي ويكري قائلًا: أنا» هذي بدء مقصود الحياه
مثل الأمة حين النشأة هي طفلٌ نفسَه لا يعرفُ
يومه بالغد لم يوصل ولا بصرًا

ما له عن نفسه من خَبَرِ كَرَّةَ النجمِ بكفِّيه يريدُ
هُمُّهُ أَكَلُ ونومٌ وبكاءُ لحنُهُ ثورته والضجَّةُ
قوله فيه صفاءُ الجوهرِ أين؟ أنى؟ ومتى؟ في كل حال
وهو كَلٌّ غيرُهُ يتَّبَعُ تتنزَّى روحه في قلقٍ
كصُقيرٍ لاصطيارٍ يُخْبِرُ ثم يدعوه إليه يُعَجِّلُهُ^{١٨٢}
فَرَمَى حُذُوفَهُ بالشررِ^{١٨٣} فيدقُّ الصَّدرَ يعني: ها أنا^{١٨٤}
غَدَهُ يربط فيه أمسه نَسَقَ الدُّرَّ بسمطٍ مُعْجِبِ
«مثل ما كنت أراني ماثلاً»^{١٨٥} نغمةُ اليقظة في عود الحياه
مثل الطفل ضعيف المُنَّةِ جوهرٌ غَشَى عليه الصَّدْفُ
بصباحٍ ومساءٍ سُلْسَلَا

وبعين الكون إنساناً يُرى
بعد لأي طَرْفُ الخيط بدا
فإذا رَأَى قَواها الدهرُ
أسطراً، تمحو، وأخرى تسطرُ
يُبْلِسُ الفردُ إذا ما انتثرا
نور قوم من مدادِ السَّيرِ
أمةٌ قد نسيَت سيرَتها
أنت سَفَرُ كتبته السيرةُ
ثوبنا أيامنا في الزمن
ما ترى يا غِرُّ تاريخِ البَشَرِ؟
في سَناه أنت بالنفس بصيرُ
إنه أعصابُ جسم الأمة
هو يجلوك كسيفٍ مِخْدَمِ
أَيُّ عودٍ ذي فنون تسَحَرُ!
خامدُ الشعلة، فيه يُشْعَلُ
شمعه كوكب بختِ الأمم
عينُه تُبصر ما قد عبرا
وعتيقُ الراح في كاساتِه
صائدٌ يَرجعُ في أشراكنا
فاذكر التاريخَ واستحكِم به
أَحْكَمَن وُضِلَّة يوم وغدِ
وقَدِ الأيام قَسَراً بمهَارُ
صاح! من ماضيك يبدو حالُكا

كُلُّ شيء ما عداه أبصرا^{١٨٦}
بعد ما حَلَّت يداها العُقدا^{١٨٧}
يتجلى ذا الشعورُ المضمُرُ^{١٨٨}
صفحاتٍ بيديها تَزِيرُ
عَقْدُ أيامٍ عليه قُدراً
نفسه يعرفُها بالذِكرِ
ينسخُ الدهرُ غداً آيتها
خَيْطُه أيامُك الموصولةُ
وخِياطُ الثوب حفظُ السننِ^{١٨٩}
قصة! أسطورةٌ؟ لَهُوَ سَمَرُ؟
في هداه أنت بالسير خبيرُ
إنه في الروح مثل الشعلةِ
ثم يرمي بك بين الأمم
نغمات الأَمس فيه تُؤثِّرُ
يومه للأَمس فيه موئِلُ
وسنا اليوم وأَمسِ المُظلمِ
وترى الماضيَ حياً مُحَضِّراً
وخُمار الأَمس في نَشْواتِه
طائرًا قد طار من بستاننا
عِشْ بِأنفاس مضت، في طَبِّهِ
والحياةُ امضِ بها طَوْعَ اليدِ
أو فَعِشْ أَعْمى ليلٍ ونهارُ^{١٩٠}
ومن الحال بدا استقبالكِ

إِنْ تُرِدْ خُلِدَ حَيَاةٍ فَصِلِ
ما مضى بالحال والمستقبلِ

في بيان أن بقاء نوع الإنسان بالأمومة وأن حفظ الأمومة واحترامها من أصول الإسلام

هو من محنتها في عِزَّة
 إِنَّ ثوبَ العشق من نَسَجِ الجَمالِ ١٩١
 ذلك اللحنُ حواه صدرُها
 قرَنَ الطيبَ إليها والصلاه ١٩٢
 قد رآها أمةً لا تُعْظَمُ
 وإلى الرُّسلَ لديها نسبةُ
 سِيرِ الأقوامِ من صنعَتها
 وبِسيماها بدا مقدارنا ١٩٣
 أترى فكرَ فيها يَثْبُت؟
 دونه أمرُ حياة لا يتمُّ
 تحت رجلِ الأمهاتِ الجنةُ
 بخلالِ الأمِّ تسيارُ الحياه
 ويدوم الموح فيه والحبابُ

نغماتُ المرءِ عَزَفُ المرأةِ
 كست الذُّكرانَ ربَّاتِ الحبالِ
 عَشِقُ الحقِّ رَبَّاهُ حَجْرُها
 الذي قد بَهَرَ الكونَ سَناه
 جهلَ القرآنَ جَهلاً مُسلمُ
 إنما الأمُّ علينا رحمةُ
 رَأْفَةُ المرسلِ في رَأْفَتِها
 ومن الأمِّ عَلَتْ أَقدارُنا
 لفظةُ الأمةِ فيها نُكْتُ
 إنما الأمةُ من وصلِ الرِجَمِ
 قال خيرُ الخلقِ، وهو الحجةُ:
 كُشِفَتْ بالأمِّ أسرارُ الحياه
 وبها في نهرنا يعلو العُبابُ

* * *

عَبْلَةُ الجِسمِ وَغُفْلُ السَّحْنَةِ
 دون تعليمِ وصقلِ الصيقلِ ١٩٤
 وجُهاها يُعَرِّبُ عما تَحْمِلُ
 صَبْحُنا يشرقُ من إِظلامِها ١٩٥
 مسلماً حقاً عظيمُ النجدة
 باطنُ المرأةِ فيه غُطَّلًا ١٩٦
 وتُرى الثَّورَةُ في مقلتها
 حين طاشت عَيْنُها بالنظرةِ
 إن حَرِيَّتَها فَقَدْ الحياءُ
 لم يطق أعباءُ أمِّ عِلْمِها ١٩٧
 ليتها تُغسلُ من حُلَّتِنا

هذه الغِرَّةُ بنتُ القريةِ
 حَيَّةُ العينِ، كَهَامُ المِقُولِ
 أَلَمِ الأمِّ عليها يثقلُ
 أمرنا يُحَكِّمُ من آلامِها
 إن تَهَبُ من حِجرِها للأمةِ
 والتي رَقَّتْ وخَفَّتْ مَحْمِلًا
 شَعَّ نورُ الغربِ في فكرتها
 قُطِعَتْ أوصالُ هذِي الأمةِ
 إنَّ حَرِيَّتَها أَصْلُ البلاءِ
 ليلها ما ضاءَ في نجمِها
 ليتها لم تنمُ في روضتنا

* * *

مضمراتٌ ليس يحصيها عدُّ	أنجمُ التوحيد في غيب الأبد
لم تُقَيَّدْ بعدُ في كيفٍ وكم	لم تُسَيَّبْ بعدُ من قيد العدم
في ظلام الكون عَنَّا تسترُ	جَلَوَاتُ في دجانا تُضمَرُ
وزهور لم تفتَحها الصِّبا	قطراتٌ لم تَزِنُ زهرَ الرُّبى
ناضراتٌ في رياض الأمهات	إنما تنبتُ هذه الزَهَراتُ
ليس مِن عِقْيَانِها والفضَّة	أيها العاقلُ! مالُ الأمة
في ذكاء ونشاطٍ وعَمَلٍ	إنه أولادها مِلءُ الأمل
تحفظ الأمُّ إخاء الأُمَّة	
وقوى قرآننا والمِلَّة	

في بيان أن سيدة النساء فاطمة الزهراء أسوة كاملة للنساء المسلمات

بثلاث تَزدهي فاطمة:	أم عيسى نسبةً واحدة
خاتم الرُّسل، وخير الآخرين	قرة العين لخير الأولين،
خالقُ العصرِ جديد السُّنن	نافخُ الروح بدنيا الوَهْن
أسدِ الله الحكيم الفيصل	وهي زوجُ المرتضى ذا البطل
كلُّ ما يملك درعٌ وحُسام	ملكٌ في الكوخ زهدًا قد أقام
حسنٌ خير حليم وحُسين	وهي أمُ السידين الأكرمين
حافظٌ وحدة خير الأمم	ذا سراجٍ في ظلام الحرَم
أطفأ النيرانَ بين الإخوة	ازدري الملك ابتغاء الألفة
أسوةُ الأحرار في الخطب العمي	ذاك في الأبرار ربُّ العَلَم
وخلال الخير طبع الأمهات	سيرة الأولاد صنعُ الأمهات
أسوة النسوة في الحقِّ البتول	زهرةٌ في روضة الصدق البتول
ليهودي أباعتْ درعها ^{١٩٨}	فاقةُ السائل أذرت دمعها
ورضاها حين تُرضي بعلها	كل من في الأرض قد طاع لها

نُشِئْتُ ما بين صبر ورضى في الفم القرآن، والكف الرحي
دمعها من خشية الله جرى في مصلأها يفوق الجوهرا
لقط الروح الأمين الدُررا وعلى العرش المعلى نثرا
أنا لولا الشرع عن هذا نهى وإلى شرع الرسول المنتهى
طفْتُ حول القبر إجلالاً لها
ناثراً من سجداتي حولها

خطاب إلى المرأة المسلمة

مُشَعِّلُ مصباحنا من نارك عَرَضْنَا في الصَّون من أستارك
خَلَقَك الطاهرُ فينا رحمةً قَوِيَ الدينُ به والأمةُ
طفَلْنَا علِّمته حين الفِطام كلمة التوحيد من قبل الكلام
صِيغَ من حُبِّك أطوارٌ لنا فَعَلْنَا، أَقوالنا، أَفكارنا
برقْنَا في سُحْبِ منك ثوى شَعَّ في الأطواد، والبيد طوى
ضاء دينُ الحق من أنفاسِك ونما التوحيد في أحجارِك
ذلك العَصْرُ غرورٌ ماكرُ وعلى الأديان باغٍ فاجرُ
عقله أعمى وبالله كفرُ كم جهولٍ في شركٍ قد أسرُ
عينُه عينٌ وقاح فاتك بِشباك الهدب كم من هالك!
صيده يحسب حرًّا نفسه مَيِّتُه يزعم قصرًا رمسه^{١٩٩}
بك يخضرُّ غراس الوحدة بك ينمو رأس مال المِلة
لا تسيري غير نهج السلف لا تبالي بجدى أو تَلَفِ
احذري فتنة عصر مُهلك وإلى صدرك ضمِّي ولَدِك
بَعُدت عن عشها في خطر هذه الأفراخ، لَمَّا تطِر
فيك تسمو للمعالي فطرةً فاتبعي الزهراء، نعم الأسوة
علَّ غصنًا منك يأتي بحُسين
فترى النضرة رَوْضاتُ دَوِين

خلاصة مطالب المنظومة في تفسير سورة الإخلاص

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾

مُزْهِراً مِنْهُ تَرَابُ الْقَدَمِ طُورُنَا مِنْهُ الْكَلِيمُ الْأَوَّلَا ^{٢٠٠} صَحْبَةُ الْغَارِ وَفِي الْقَبْرِ، الْوَفَى ^{٢٠١} مَطْلَعُ الدِّيَوَانِ مِنْ أَهْلِ الْوَفَاءِ! فَانْظُرُنْ مَا الطَّبُّ مِنْ أَدَوَائِنَا سُورَةُ الْإِخْلَاصِ بُرْءُ السَّقَمِ وَهِيَ لِلتَّوْحِيدِ سِرٌّ هَائِلٌ وَلِتَكُنْ مِنْهُ مِثَالًا لِلْجَمَالِ بِكَ لِلْوَحْدَةِ فِي الدُّنْيَا سَمَا لَمْ تَزُلْ عَمَّا تَعُودَتِ الْقَدَمُ اِقْصِدِ الْبَحْرَ وَخُلِّ الْقَنَوَاتُ قَدْ بَعُدَتْ الْيَوْمَ مِنْ دَوْحَتِكَ لَا تَقْطَعْ صَاحٍ! حَبْلُ الْوَحْدَةِ كُلَّ تَفْرِيقٍ وَلِلْحَقِّ ارْجَعُنْ أُثْبِتَنَّ فِي الْقَلْبِ أَلْفَاظَ الْفَمِ وَهَدَمْتَ الْحَصْنَ فِيهِ تَحْتَمِي	ظَهَرَ الصَّدِيقُ لِي فِي الْحُلُمِ ذَا «أَمَّنُ النَّاسِ» فِينَا مَنْ جَلَا هُوَ ثَانِي اثْنَيْنِ فِي الدِّينِ وَفِي قَلْتُ: يَا صَفْوَةَ أَصْحَابِ الصَّفَاءِ بِكَ قَرَّ الْأُسُّ فِي بُنْيَانِنَا قَالَ: حَتَامَ أُسِيرُ الْوَهَمِ نَفْسٌ فِي كُلِّ صَدْرٍ جَائِلٌ فَاجِلٌ هَذَا السَّرِّ فِي كُلِّ الْفِعَالِ الَّذِي سَمَّاكَ عَبْدًا مُسْلِمًا قَلْتُ: أَفْغَانٌ، وَتَرَكَ وَعَجَمٌ طَهَّرَنَ الْحَقُّ مِنْ هَذِي السَّمَاتِ يَا أُسِيرًا لِسَمَاتٍ وَيَحْكَا! أَبْدَلَ الْوَحْدَةَ بِالتَّثْنِيَةِ عَابَدَ الْوَاحِدِ! وَحَّدَ وَاهْجَرَنَ أَيُّهَا الْمَغْفِلُ مَعْنَى الْكَلِمِ أُمَّةٌ قَطَّعَتْهَا فِي أُمَمٍ
---	---

لَذَّةَ الْإِيمَانِ زِدْ بِالْعَمَلِ

مَاتَ إِيْمَانٌ إِذَا لَمْ يَعْمَلِ

﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾

تَخْلَصَنَّ مِنْ قَيْدِ أَسْبَابٍ وَحَدٍّ مَا الْحَيَاةُ الْحَقُّ دَوْرَ الْوَلُولِبِ ^{٢٠٢} وَهُوَ لِلنَّاسِ جَمِيعًا سَلَمٌ	أَشْعِرَنَّ الْقَلْبَ «اللَّهُ الصَّمَدُ» لَيْسَ عَبْدُ اللَّهِ عَبْدَ السَّبَبِ لَيْسَ غَيْرَ اللَّهِ يَرْجُو الْمَسْلَمُ
---	--

لا تَبُثِّنْ شَكَاةً أَحَدًا
بالشعير اقنع، ثقيلٌ حيدرا
فِيمَ للأجواد حَمَلُ المِنَنِ
لا تَرُمْ رزقَ لئيمٍ يُنْغِصُ
إن تكن نملاً وكنتَ المقعدا
خَفَّفَ الزاد، طريقٌ وعِرْ
اجعلن «أَقْلِلُ من الدنيا» الشُّعارُ
وكن الإكسيرَ لا التَّربُّ بها
«بو عليّ» ليس مجهولا لديك
«تخت قابوس اركلن بالأرجل
يُفتح الحان عَجولاً نفسَه

لا تَمْدَن إلى الخَلْق يدا
مرحبا فاقتله، وافتح خيبرا^{٢٠٢}
أنت، من لا ونعم في حَزَنٍ
يوسفُ أنت، فأنتى ترخُصُ؟
لا تَوَمِّل من سليمان جَدَى
عش ومت حرًّا، عداك الغررُ
و«تعش حرًّا» بها كلُّ الفخار^{٢٠٤}
معطيًا لا سائلا، في حبِّها^{٢٠٥}
جَرعةٌ من كأسه أهدي إليك: ^{٢٠٦}
ابذل الرأس وبالعرض ابخلِ
لفقير لم يدنس كأسه

* * *

قائدُ الإسلام هارون الرشيدُ
قال: يا مالكُ مولى الأمة
أنت يا بلبلَ فردوس الحديث
لِمَ يُخفي ذا العقيقَ اليمَنُ؟
حبذا زهرة أيام العراق
تربُّه فيه من السُّقم نجاه
قال: إني خادمٌ للمصطفى
أنا، من قَيِّدَتْ في حُبِّي له
لي في يثرب حبٌّ واشتياق^{٢٠٩}
وبقول العشق: أُمري امتثلا
أنت تبغي أن تُرى لي سيِّدا
ألتعليمك أغشى بابكا
إن تَرُم في الدين علما يُقْتَنَى

مَنْ سَقَى نقفورَ من ماء الحديد^{٢٠٧}
أنت يا رونقَ وجه المَلَّةِ
إنني أرغب في درس الحديث
اقصدن بغداد، نعم الوطن^{٢٠٨}
حبذا حسنٌ به، الأعين راقٍ
قاطرٌ من كرمه ماء الحياه
وبحسبي حبُّه، لي شرفا
كيف أنأى عن مكان حلِّه
أين من ليلي بها صبحُ العراق؟
لستُ أرضى بملوكٍ خولا
أن تُرى مولى لحرٍّ عُبدا
خادمُ الأمة لا يعنو لكا
فاغشين حلقة درسي ها هنا

* * *

الذي استغنَى جديرٌ بالدلال
في دلال عنده كلُّ جمال

صبغة الحق من استغنى اكتسى
أنت من غيرك تجدو علمكا
أنت منه بشعار تفخر
خشعت أرضك من أمطاره
مطرًا من مزنه لا تجتدي
سلسلت عقلك أفكار له
مستعار كلم في فمكا
أعوزت طيرك ألحان الغناء
أنت في كأسك خمرا تجتدي
لو يعود اليوم فينا ذو النظر
ماز صدقا وكذبا سمعه
نعم نادى «لست منى» يا فتى
فالأم العيش مثل الأنجم
أنت قد غرك صبح كاذب
أنت شمس نفسك اعرف كل حين
إن في قلبك نفسا من سواك
بسراج الناس مغناك أضاء
لك حول الشمع في الحفل دوار
أبق في مثواك مثل البصر
حي فرد نفسه قد عرفا

ورأى صبغ سواه دنسا
بطلاء منه تطلي وجهكا
أنت ذا أم غيرتك الغير؟^{٢١٠}
وخلا البستان من أزهاره
لا تبذ زرعك عمدا باليد
ملأت حلقك أوتار له
مستعار أمل في قلبكا
ليس في سرك في الجو رواء^{٢١١}
وكذلك الكأس جدوى في اليد
من به تصديق «ما زاغ البصر»^{٢١٢}
وابتلى كل فراش شمع^{٢١٣}
ويلتا يا ويلتا يا ويلتا
يطلع الصبح لها بالعدم
أنت عن نفسك حقا ذاهب
لا تضئها من نجوم الآخرين
باعث الإكسير بالترب يداك
وبخمر الناس في الرأس انتشاء
اغشين نارك، هل في القلب نار^{٢١٤}
لا تدع عشك مهما تطر^{٢١٥}
وقبيل عن سواه صدفا^{٢١٦}

عن طريق المصطفى لا تذهبن
واترك الأرباب، واللّه اعبدن

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾

قد علا قومك عن لون ودم
في وضوء قطرة من قنبر
وعلا أسوده حمر الأمم
هي أعلى من دم من قيصر

اتركن عَمَّا وَأُمَّا وَأَبَا
يا خليلي اسمع حديثي واعقلا
قطرةً من شَقَرٍ كَالْقَبَسِ
لم تقل هذي: أنا نَيْلُوفَرُ
شأن إبراهيم في ملتنا
إن جعلت الدمَ ركنَ المَلَّةِ
في نَرَانَا ليس ينمو بَزْرُكَ
ابنُ مسعودٍ سراجُ المتقين
أَجَّ من موت أخيه صدره
لم يجفَّ الدمع من حرقة
آهٍ للِقَارِئِ درسِ العِظَةِ
آهٍ لِلْسَّرِوِ الذي قد وَرَفَا
عينُهُ تحرَمَ. إِبصارِ النبيِّ

وَأَنَا أَشْهَدُ أَنْوَارِ النَّبِيِّ^{٢١٨}

ما من الأَنْسَابِ يَقْوَى وَصَلْنَا
إنما حُبُّ الْحَاجِزِيِّ الْحَبِيبِ
حَسْبُنَا أَصْرُهُ مِنْ حُبِّهِ
جَدَّدَ الدَّهْرُ بِنَا سِيرَتَهُ
عَشَقَهُ سِرُّ اجْتِمَاعِ الْأُمَّةِ
صَلَةُ الْعَشَقِ لَنَا أَقْوَى سَبَبِ
أَيُّهَا الْعَاشِقُ خَلِّ النِّسْبَا
نُورٌ حَقٌّ مِثْلَهُ أُمَّتُهُ
نور حق ما حواه نسب
ليس من رومٍ وَعُربٍ أَصْلُنَا
قد حَبَانَا ذَاكُمِ الْوَصْلُ الْقَرِيبُ
حَسْبُ عَيْنِ نَشْوَةِ فِي قَرِبِهِ
مَذْ حَوَاتِ أَعْرَاقُنَا نَشْوَتَهُ
نَبِضَتْ مِنْهُ عُرُوقُ الْمَلَّةِ
هو في الروح، وفي الجسمِ النِّسْبِ
خَلَّ إِيْرَانُ، وَخَلَّ الْعَرَبَا
قد نَمَتِ أَغْصَانُنَا دُوحَتُهُ
ثُوبٌ حَقٌّ، لَا سَدَى أَوْ لُحْمَةٌ^{٢١٩}

من ثوى في نسبٍ أو بَلَدٍ

قد عَفَا عَنْ «لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوَلَدْ»

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾

عامراً بالحق قلباً قد عمر؟
 لم ترعها طلعةً من مُجتنى
 فتراها لهباً يستعرُ
 أنها خُلف عنها كوكبُ
 وشُعاعُ الشمس فيها قُبُلُ
 لتُرى في الناس حُرّاً أوحداً
 عبده يَأبى شريكاً مثله
 ليس يرضى بمُسام في السّما
 «أنتم الأعْلون» تاجُ المَفرِق
 وحوى بَرّاً وبحراً صدره
 صدره للبرق إما نزلاً
 أمره المعيار في خير وشرّ
 جوهرٌ فيه كمال للحياه
 نغمةٌ إلا أذانُ المُسلم
 وهو حين القهر ذو طبع كريم
 قهره في الحرب صهرٌ للحجر
 وهو في البید انقضاض الأجل
 هو فوق الزُهر ما إن يستقرّ
 طائرًا فيما وراء الفلك
 دودةٌ في ظلمةِ التُّرب تُراح
 قد أصبتُ الذل من هجر القرآن^{٢٠}
 بالكتاب الحيّ أمسكت يدا

صاح! ما المسلمُ للدنيا احتقر
 زُهرٌ من شَقيرٍ في القُننِ
 نَفْسًا ينفخ فيها السّحرُ
 تُشفق الزُهرُ عليها تحسبُ
 الندى منها نُعاسًا يَغسلُ
 (لم يكن) أمسكُ بها واشدّد يدا
 ذلك الواحد لا شِركَ له
 قد سما المسلم أعلى من سَما
 وردّه «لا تحزنوا» في المأزق
 حملَ الكونين طرّاً ظَهره
 أذنه للرعْد إمّا جَلجلا
 قاتِلُ الزور، وللحقّ وَزَرَ
 جمره كلُّ لهيبٍ في حشاه
 ليس في ضوضاء هذي الأمم
 هو في العفو وفي البذل عَظيمُ
 لُطفه في الحَفَلِ جبر المنكسرُ
 هو في الروض صَفيرُ البُلبلِ
 قلبه تحت سَماءٍ لا يقرّ
 طائرٌ ينقرّ نجمَ الحُبكِ
 أنت، يا مَنْ لم يَطِرْ منك جَناحُ!
 مستكينٌ تشتكي جور الزّمانِ
 قد هبطت الأرض طَهرًا كالندى

فإلام العيش في التُّرب؟ ارحلا

اصعدنْ فوق السّماواتِ العُلا

شكوى المصنف إلى من أرسل رحمة للعالمين

نضرتُ منك مُحيّاها الحياه
الجهاتُ الست نورٌ يسطع
إنَّ فقراً فيك زخر الكائنات
أنت أشعلت مصابيح الحياه
صُور الكون بدت من دونكا
نفسُ منك أطار الشررا
وسمت للنيرين الذرة
من أبي أنت وأمي أقرب
عشقك النار بجسمي يُضرم
ومتاعي أنَّهُ مثل الرباب
كيف لا يُبدي شَج أتراحه؟
ضلَّ عن سرِّ النبيِّ المسلم
كلُّهم في قلبه يثوى هُبْل
شيخنا يفضله البرهمن
هجر العرب، وفي العربِ عصم
فت برد العُجم في أعضائه
هو، كالكافر، يَخشى الأَجلا
داؤه كلُّ طبيب ما شفا
هالِكا عرّفته ماء الحياه
قلت عن أحباب نجدٍ قِصّتي
فأضاء الحفل من لحنِي أياه

ورأت تعبِير رؤياها الحياه
منك، والأقوام جمعا تَبُع
قد تعالى بك قدر الكائنات^{٢٢١}
وحبوت الناس من رُق نجاه
فاقة تشكو وتشكو الحَلْكا
فاستحال الطين منه بشرا^{٢٢٢}
وتجلّت من حشاها القوّة
مذ رأى وجهك طرفي المعجِبُ
فليُذب رُوحِي منه ضَرْمُ
إنها المصباح في بيتي الخراب
كيف لا يُبدي زجاج راحه؟
موثنا قد صار هذا الحرم^{٢٢٣}
ومناة فيه والعزّي تحل
سُمنات رأسه يستوطن^{٢٢٤}
وأطال النوم في حانِ العجم
دمعه أبرد من صهبائه
صدره من قلب حيّ قد خلا
فحملت النعش عند المصطفى
ومن القرآن أسرار النجاه
حدّثت عن رَوْض نجدٍ نفحتي
ودرى قومي أسرار الحياه^{٢٢٥}

* * *

قيل: أهدى سحر أوربّا لنا
واهبي عودَ سُليمي كَرما
اهدٍ للحق، الذي قد أفكا
إن يكن قلبي غوى لا يُبصرُ

وبقانون الفرنج افتتنا^{٢٢٦}
والأبوصيري بُردا كَرما^{٢٢٧}
الذي يجهل ما قد ملكا^{٢٢٨}
أو سوى القرآن لفظي يُضمُرُ

<p>أنت يا عالم أسرار الصدور طهَّرن من شوكتي روضَ الزمن واكفينَّ شرِّي أهلَ الملةِ واحرمَنِّي من شأيب الربيع واملأن راجي سَمًّا قاتلا واحرمَنِّي منك لثَمَ القَدَم ونظمت الدَّر من سرِّ القُرآن بك كم نال وضيعُ شرفا يجعلنَّ عشقي قرينَ العمل ونصيبًا شئتَ لي من علم دين واجعلن قَطَرَ ربيعي دُرا</p>	<p>أنت يا من نورُه صبحُ العصور اهتكنُ أستارَ فكري وافضحنُ وحياتي اقطع لأجل الأمةِ أبعدنُ عن روضتي الغيث المريع جفَّف الراح بكَرمي عاجلا واخزِينِي يوم حشر الأمم أو أكن أخلصت نصحي في البيان فدعاءً منك أجري وكفى اسألنَّ الله رب العرش لي ربِّ قد أنعمت بالروح الحزين فاجعلنَّ في الفعل حظِّي أوفرا</p>
--	---

* * *

<p>مذ حوى قلبي في الدنيا مُقام شاهدًا صبحَ حياتي الأَوَّلَا مذ شدا باسمك أُمي وأبي ودهانِي ريبُه والمِحَنُ ونما بالعَتق فيه التَّمَلُّ ٢٢٩ كوكبٌ في جنح ليلي يُسِفِر</p>	<p>أملٌ آخر في القلب أقام هو في صدري كقلبي نزلا أملٌ أذكيتُ منه لهبي كلما غيَّض مِنِّي الزمنُ شَبَّ في قلبي هذا الأملُ إنَّه تحت ترابي جَوهرُ</p>
---	--

* * *

<p>وتعشقتُ ذواتِ الطُرَرِ حين أطفأتُ سراج العافيه وغزا قلبي قُطَاع الطريقِ وبكيسي لم يزل هذا النُّضارُ</p>	<p>همتُ حينًا بذواتِ الحورِ وعلى الراح صحبت الغانيه وأحاطت بِيَدري نارُ البروقِ وبروحي لم يزل هذا العُقارُ</p>
---	---

* * *

<p>وغزا روحي بالنقش الفرِّي ٢٣٠ وهو في رأسي مقيمٌ لا يَبِينُ</p>	<p>لبس الزُّنارَ عقلي الأَزْرِي في إसार الشك أمضيت سنينُ</p>
---	---

أحرفًا ما نلتُ من علم اليقينُ ومن الحكمة في الريب رهين^{٢٢١}
 لم يلُح في ليل عُمرِي نورُ حقٍّ لم يُنِرْه ليلي شعاعٌ من شفقٍ
 وفؤادي مُضمِرٌ هذا الرجاءُ صدَفٌ في قلبه دُرٌّ أضاء
 ثم من عيني دمعًا سَجَمَا وتجلَّى في فؤادي نغما^{٢٢٢}

* * *

يا مَنْ القلبِ سِواه أغفلا! ائذَنْنْ أذكر هذا الأَملا
 سيرتي ما ضاء فيها العملُ كيف مثلي مثلَ هذا يَأْمَلُ؟
 أنا من إظهاره في خَجَلٍ منك لُطفٌ يسر الجُرأةَ لي
 يا رحيماً بك للناس مفاز! كلُّ ما أبغيه موتي في الحجاز^{٢٢٣}
 هَجَرٌ غير الله شأنُ المسلمِ كيف لي عيشٌ ببيت الصنم؟
 حسرة المسلم إن حُمَّ الممات أن يكون الدَّيرُ مثوى للرفات^{٢٢٤}
 ويل يومي، وهنيئاً لغدي إن أقمُ في ذا الحمى من لَحدي
 حبذا أرض تراهها موطننا! حبذا تُربُّ تراه مسكننا!
 دارِ جَبِّي ومليكي والسكن أيها العشاق! ذا نعم الوطن^{٢٢٥}
 كوكبي أطلِّعه بالسعد غدا في ظلال الدار هب لي مرقدًا
 ليرى الراحةَ قلبي القلقُ ويرى الهدأةَ هذا الزئبقُ
 أيها الدهر انظرنْ هذا السلام
 قد رأيت البدء فانظر ما الختام

كان الفراغ من تبيض الترجمة وتحريرها، وتنقيحها وتحبيرها أصيل يوم السبت الحادي عشر من شعبان سنة خمس وسبعين وثلاثمائة وألف من الهجرة (الرابع والعشرين من آذار سنة خمس وخمسين وتسعمائة وألف من الميلاد) بدار السفارة المصرية بمدينة جدة.

والحمد لله أولاً وآخراً.

هوامش

(١) ترجمة بيت لعرفي الشيرازي صدر به الشاعر هذه المقدمة، ومعناه: لا يستطيع أحد إنكار ما أصف من آلام عشقي، فإنه إن شعر بالآلام التي أصفها فهذه الآلام لا تكون بي، ولكن به هو، إنني أصف شيئاً لا يمكن أن يكون في قلب غيري، فكيف يستطيع إنكاره.

(٢) يعني: أهل أوروبا الذين سيطروا على الهند وغيرها حقبة.

(٣) الأفلاك من الهبة التي أثرتها في جهادك على الأرض.

(٤) الشطران بين الأقواس بيت للشيخ سعدي الشيرازي.

(٥) يعني: أن الشعراء الآخرين فتنوا بذكر الحان وغلمان المجوس، وهؤلاء في الشعر الفارسي كغلمان النصارى في الشعر العربي يقرن ذكرهم باللهو والسكر، إذ كانوا خدم الحانات.

(٦) مرآة اسكندر مشهورة في الشعر الفارسي، يقال: إنه كان يرى فيها الأقاليم ولعل أصل الخرافة منارة الإسكندرية ومراياها، ويقول الشاعر هنا: إن في شعري مرايا كمرآة إسكندر، فلست في حاجة إليها.

(٧) يعني: أنه لا يجني الزهر في حبره، بل يستكبر أن يجنيه استغناء عنه.

(٨) حذف بعد هذا بيتان.

(٩) الربيع النهر الصغير.

(١٠) محبوبنا الرسول ﷺ.

(١١) يتخيل الشعراء أن الورد يمزق صدره حين يتفتح، ويقول الشاعر: إن العشق صاغ قلبه مرآة وهو يشق صدره، فيضع هذه المرآة أمام الأمة الإسلامية لترى فيها حقيقتها.

(١٢) أي لتُقدري جمالك، وتدركي مزاياك، وتحبي نفسك.

(١٣) الشقيق: زهر أحمر يجعله الشعراء مثلاً للاحتراق، ويقول إقبال: ما هذا الاحتراق الذي هو لون لا حقيقة له، ولماذا أستجدي الندى من الفجر كالشقيق وغيره من الزهر، أنا أحترق بناري كالشمع، وأتخذ من دمعي ندى.

(١٤) أيامه كلها عمل وجهد ليس فيها يوم راحة.

(١٥) روحه آهة والجسد تراب يسترها كما يتردى الإعصار بالغبار.

(١٦) تجعل العصف — وهو الهشيم — ضعيف اللهب، ناراً قوية تحرق غيرها، وتخلق من التراب فراشاً هائماً يهفو على النار.

- (١٧) نهر المجرة.
- (١٨) قيمة الأفراد من فضل الأمة عليها.
- (١٩) كثرة الأمة لا تضر بوحدة الفرد بل تحكمها، والكثرة فيها موحدة بوحدة الفرد، ورأى إقبال أن غاية الجماعة تقوية الفرد وإسعاده وهو لا يفنى فيها.
- (٢٠) الفرد في الجماعة كلفظ في بيت من الشعر، إن فصلت اللفظ من البيت اختل البيت، وتعطل معنى اللفظ.
- (٢١) تقيد الفرد بقيود الجماعة لا يعبد بل يحرره، وثباته في الجماعة ينميه مثل الشجرة تثبتها في الطين فتنمو، وإن لم تثبت في الأرض لم تنم.
- (٢٢) الوهق: حبل فيه آخية يصطاد به، يعني أن قيد النظام للإنسان يمنع وثوبه ولكن يكمله ويطيبه.
- (٢٣) أثبت خودي، ومعناها الذاتية، وبيخودي أي نفي الذاتية على لفظهما في الأصل، يعني الشاعر أن الإنسان إن لم يميز مواضع الذاتية من مواضع نفيها اشتبه عليه أمره، وهذا أساس فلسفة إقبال، انظر المقدمة.
- (٢٤) يعني الذاتية.
- (٢٥) وجودك منه ووجودي منه، وهو مع هذا فرد لا يثنى.
- (٢٦) هذا النور الذي يسميه الذاتية يصنع نفسه ويثبتها ويفرقها، وله دلال يظهر في صورة خضوع، يعني أنه غالب وكأنه مغلوب.
- (٢٧) شر صغير ولكنه كبير في معناه يقوى على الشعلة الكبيرة.
- (٢٨) يظهر من خلوته: أي يبدو في الكون فيثير حرباً هي جهاد الحياة الدائم.
- (٢٩) الجبر والإكراه يقطع عليه الطريق وهو بالحب والاختيار ينمو ويعظم.
- (٣٠) تفرق الذات نفسها فتنمو من زهرتها روضة أي تعظم وتكثر بهذا التفريق.
- (٣١) هذا الشطر من المثنوي لجلال الدين الرومي.
- (٣٢) مذهب إقبال: أن غاية الجماعة سعادة الفرد، وأن الفرد لا يفنى من أجل الجماعة.
- (٣٣) المضرب ما يضرب به أوتار العود.
- (٣٤) يعني ليس عنده نشوة العمل والإقدام.
- (٣٥) النجم النبات الذي لا ساق له.
- (٣٦) أي تغيرت قيم الأشياء بما أتى به من مقاييس جديدة.

- (٣٧) كلامه ونظره يجذب البعيد إليه حتى يصيرا كنفس واحدة.
- (٣٨) يهب الناس نظرًا جديدًا فيرون الأشياء على غير ما رأوها قبلاً، فرب حسن يصير قبيحًا، وقبيح يصير حسنًا.
- (٣٩) ترى الذرة على ضآلتها طور سيناء، الذرة لا ترى إلا في نور الشمس، ولكن هذا الرسول الذي يتحدث عنه الشاعر يحيي الموات وينير الظلم فترى الذرة طور سيناء.
- (٤٠) العقل عريان مفلس حتى يمده الرسول فيكسوه ويغنيه أي هو يهدي العقل ويقويه.
- (٤١) يشعل العقل، ويميز له الخبيث من الطيب.
- (٤٢) الناس يعبدون الصنم ويستعبدون الإنسان، فيقول الرسول للإنسان لست عبدًا، ولست قدرًا من الأصنام.
- (٤٣) يقيد به بالشرعية ليجذبه إلى المقصود ويعلمه توحيد الله وأدب الطاعة، فترى الإنسان حرًا من عبادة الكبراء مقيّدًا بالشرع.
- (٤٤) إشارة إلى الآية في سورة مريم: ﴿إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾.
- (٤٥) كأس جشيد التي ترى فيها الأقاليم السبع، أي: إن صدقت النية في مقام العبودية لله وحده ينقلب السائل ملكًا، ووعاؤه الذي يجتدي فيه يصير كأس جشيد.
- (٤٦) تقدم أن «لا إله» اختصار كلمة التوحيد.
- (٤٧) الفكر وحده لا يجدي ولا بد له من حرقه الإيمان.
- (٤٨) إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿مَلَّةً أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾.
- (٤٩) أمتنا مؤسسة على العقيدة لا على الأرض، فقلوبنا ليست رهن الحس، بل هي متصلة بالغيب، أي بالمعاني التي لا تحدها الأوطان.
- (٥٠) نظامنا قائم غير مرئي، كالبحر لا تدركه الأبصار.
- (٥١) الرئي المظهر.
- (٥٢) مأخوذ مما جاء في الأثر من تسمية الخمر أم الخبائث.
- (٥٣) مقتبس من القرآن: ﴿لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾.
- (٥٤) رجاء يوصل دائم لا ينقطع.
- (٥٥) الوند جبل عال مشرف على مدينة همذان، يعني: إن تكن كجبل الوند ففي اليأس مصرعك.

- (٥٦) الضمير لليأس في أكنافه تشب الخيبة، وبفضله ينمو العجز.
- (٥٧) الكحل يجلو البصر، ولكن كحل اليأس يعمي ويجعل النور ظلامًا.
- (٥٨) إشارة إلى ما حكى القرآن الكريم من قول الرسول لأبي بكر في الغار: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾.
- (٥٩) إشارة إلى الآية: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.
- (٦٠) إشارة إلى قصة موسى وفرعون وقول الخالق عن موسى: ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ وفرعون هنا نكرة، ولهذا لحقه التنوين.
- (٦١) لا يؤدي دية من قتله.
- (٦٢) عين: جاسوس، والميم في خط الرقعة والخط الفارسي مصمته، فجعل الشاعر الخوف مظلم القلب مثل ميم الموت. وفي الأصل ميم مرك، ومرك: موت، فالميم في الأصل والترجمة.
- (٦٣) تشوه مظاهر الحياة عينه، وتحرف أخبار الحياة أذنه.
- (٦٤) ذو الفقار: سيف علي بن أبي طالب — رضي الله عنه.
- (٦٥) في الأصل وعلى الشام نثرت الشفقا، وشام في الفارسية بمعنى الليل، فالكلمة تورية معناها القريب بلاد الشام.
- (٦٦) محيي الدين عالمكير، الملقب أورنك زيب، أحد عظماء الملوك من دولة المغول في الهند، وكان حريصًا على نشر الإسلام في الهند ملتزمًا حدود الشرع، ملك من سنة ١٠٩٩ إلى سنة ١١٤٨هـ.
- (٦٧) أكبر هو جلال الدين أكبر من أعظم سلاطين المغول ملك خمسين سنة، وحاول أن يجمع بين الإسلام والأديان الأخرى في دين سماه الدين الإلهي، وكان يتقرب إلى الهنادك ويرعى شعائهم، ودارا أخو عالمكير المذكور هنا.
- (٦٨) شاهجهان بنى تاج محل لزوجته، فلما ولى عالمكير لم يبين لأبيه مزارًا، بل دفنه بجانب زوجته في تاج محل، ثم بنى لنفسه قبرًا صغيرًا ساذجًا.
- (٦٩) زينة العرش لقب هذا السلطان (أورنك زيب).
- (٧٠) توهم الليث صورة ليث.
- (٧١) ثم دعا الوجد إلى الصلاة مرة أخرى.
- (٧٢) العبد لدى مولاه يفنى ولكن يثبت في جهاد الباطل، واللفظان العربيان لا ونعم في الأصل.

(٧٣) الألف في حصلا نون التوكيد الخفيفة، والمعنى: ليكون لك قلبه، ولتعد هذا القلب للحبيب «الحق».

(٧٤) إشارة إلى الآية: ﴿وَعَهْدُنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهَّرْنَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾.

(٧٥) إشارة إلى دعاء إبراهيم وإسماعيل: ﴿وَأَرْنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

(٧٦) إشارة إلى الآية: ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾.

(٧٧) بطحاء مكة.

(٧٨) إشارة إلى بيت البردة:

أحل أمته في حرز ملته كالليث حل مع الأشبال في أجم

(٧٩) الكثرة المؤتلفة هي في الحقيقة وحدة لا كثرة، وإذا ائتلفت الكثرة فاتحدت نشأت الأمة.

(٨٠) في حاشية الأصل بيت من البردة:

لما دعا الله داعينا لطاعته بأكرم الرسل كنا أكرم الأمم

(٨١) لا نبي بعدي فضل من الله على هذه الأمة، ومكافاة الإسلام من هذا.

(٨٢) برويز ملك عظيم من ملوك الفرس، وفرهاد مهندس فارسي له مع برويز وجاريته شيرين قصة رائعة في الأدب الفارسي.

(٨٣) المدنية الحاضرة من آثار البعثة الإسلامية، فهذا العصر جاء إلى الوجود في حبرها.

(٨٤) إشارة إلى الآية: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾.

(٨٥) إشارة إلى الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾.

(٨٦) أبو عبيدة الثقفي أحد قواد المسلمين في فتح العراق، وجابان قائد فارسي.

(٨٧) بو عبيد هكذا جاءت في الأصل، واقتضى الوزن وذكر الاسم إبقاءها كما

جاءت.

- (٨٨) الحيدر: علي بن أبي طالب وقنبر خادمه، يعني أن نغمة ينطق بها بلال أو قنبر هي نغمة علي وأبي ذر، سواء فيها الكبير والصغير والسيد والمولى.
- (٨٩) مراد أحد أمراء خوقند أو خجند في تركستان في القرن الثالث عشر الهجري.
- (٩٠) فرهاد مهندس له قصة معروفة في الأدب الفارسي والأساطير مع الملك برويز.
- (٩١) اقطع يد السلطان قصاصًا.
- (٩٢) شمر كمه استعدادًا لقطع يده.
- (٩٣) آية: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾، القطع عدل والعفو إحسان.
- (٩٤) حذف قبل هذا أبيات فيها حديث وقعة كربلاء.
- (٩٥) كعب بن زهير الذي مدح الرسول بالقصيدة المعروفة: بانت سعاد فقلبي اليوم مبتول.
- (٩٦) إشارة إلى البيت:

إن الرسول لسيف يستضاء به مهند من سيوف الهند مسلول

- (٩٧) إشارة إلى الحديث: «حب إليّ من دنياكم ثلاث ... إلخ»، لم يقل الرسول: «من دنياي أو دنيانا»، بل قال: «دنياكم».
- (٩٨) سكن الإنسان من يسكن إليه من أهل أو صديق.
- (٩٩) لا يتيه في عالم العلل والمقادير.
- (١٠٠) يقول إقبال في ديوان ضرب الكلم:

إنما الكافر حيرا ن له الآفاق تيه
وأرى المؤمن كونا تاهت الآفاق فيه

يعني أن المؤمن المجاهد لا تعوقه ولا تحيره عقبات هذا العالم، بل يسخرها كما يشاء.

- (١٠١) الإمام الأعظم رسول الله.
- (١٠٢) في القرآن الكريم: ﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾، فالهجرة ترك المكان الذي يعسر فيه العمل إلى المكان الذي يتيسر فيه أداء الواجب.

- (١٠٣) اقتباس من القرآن جاء في الأصل.
- (١٠٤) الفلورنسي مكياڤلي، مؤلف كتاب الأمير الذي أحل للملوك كل وسيلة تبلغ بهم الغاية.
- (١٠٥) الصنم: الملك.
- (١٠٦) الريح: الرائحة.
- (١٠٧) تذهب طير وتجيء أخرى، وتسير الرائحة، وينزل الندى، فالروضة باقية على تبدل ما فيها.
- (١٠٨) موسم الزهر أبقى أحاد الزهر، فالزهرة تذبل والموسم يدوم.
- (١٠٩) الأماس: جمع أمس.
- (١١٠) يسافر: يسافر.
- (١١١) إشارة إلى الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ ﴿١﴾ وَ﴿٢﴾ قَالُوا بَلَىٰ﴾، يعني أنها قائمة على عقيدة أزلية عامة خالدة فهي دائمة بدوام هذه العقيدة.
- (١١٢) إشارة إلى الآية: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.
- (١١٣) المعنى إن كان الذكر محفوظًا فلا بد أن يدوم الذاكر فلا ذكر بدون ذاكر.
- (١١٤) الآية: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَىٰ اللَّهُ إِلَّا أَن يَتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾.
- (١١٥) إلى الحق تنيب: الحق هنا الله تعالى.
- (١١٦) إبراهيم الخليل، كان يأمل أن تخرج من ذريته أمة موحدة فانجلت آماله عن هذه الأمة.
- (١١٧) إشارة إلى الآية: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾.
- (١١٨) يعني كانت نار التتر علينا بردًا وسلامًا، بل كانت روضة لنا كما كانت النار لإبراهيم.
- (١١٩) ساسان الذي تنسب إليه دولة الفرس الساسانية التي سيطرت من القرن الثالث الميلاد حتى ظهور الإسلام.
- (١٢٠) يعني أن الأمة الإسلامية تبقى بما في قلوبها من الوجد والهيام والإقدام على العمل وهذا العشق حياة للعالم.
- (١٢١) إن كنا في ضيق وغم منطوين ككم الزهرة فحياة هذه الروضة، هذا العالم، رهن بحياتنا إن متنا ماتت.

- (١٢٢) زهر السراج أضاء.
- (١٢٣) إشارة إلى الآية: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾.
- (١٢٤) سكن اضطرابه واطمأن، موجه التأثير سكن واستقر كالدرة في الماء.
- (١٢٥) جم: جمشيد أحد ملوك الفرس القدماء.
- (١٢٦) الهبوة: الغبار الذي يثور في الحرب أو سير الأرجل الكثيرة ونحوها.
- (١٢٧) إشارة إلى الآيتين: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبْرًا﴾ و﴿يَدْعُ الدَّاعِيَ إِلَى شَيْءٍ نُّكْرٍ﴾.
- (١٢٨) القوال منشد القصائد الدينية وهو معروف بهذا الاسم في إيران والهند.
- (١٢٩) العراقي شاعر صوفي فارسي.
- (١٣٠) يعني أنه يأخذ مالا من الفقراء المقيمين في الأربطة.
- (١٣١) الديلمي والخطيب من رواة الحديث الضعفاء، والضعيف والغريب من أنواع الحديث، يعني الشاعر أنهم تتبعوا المحدثين غير الثقات والأحاديث غير الصحيحة يستدلون على أقوالهم وأفعالهم.
- (١٣٢) يعني يجب الاستمسك بسنن الآباء حتى تعود الأمة سيرتها، كما ينتظر صاحب الشجر أيام الخريف إيراقة وإثماره في الربيع ولا يقطعه أو يهمله.
- (١٣٣) إن قل الماء في نهرك فاحتفظ بالنهر عسى أن تأتيه السيول بالماء فيزخر مرة أخرى.
- (١٣٤) كلمتا نباض ومقراض في الأصل.
- (١٣٥) مرقة اليقين ومقامات اليقين في الأصل بلفظهما العربي.
- (١٣٦) في الأصل جبل ألوند، واستبدلت به رضوى في الترجمة.
- (١٣٧) الشيخ أحمد الرفاعي.
- (١٣٨) وقعت هذه القصة في سيالكوت بلد إقبال وقصها على الناس كثيرا، ومبرم في آخر البيت بمعنى ممل.
- (١٣٩) قشب: جمع وكسب.
- (١٤٠) يعني دمعت عينه، علق الدمع بأهدابه ثم سقط.
- (١٤١) هذا قول النبي لوالد إقبال في المحشر.
- (١٤٢) جلال الدين الرومي، وما بين القوسين من ديوانه المثنوي.

- (١٤٣) أغرد: أطرب بالتغريد.
- (١٤٤) الصقر يعيش في الصحراء، والبلبل بين الأشجار؛ فليلزم كل بيئته.
- (١٤٥) مطر شهر نيسان الذي ينشأ منه اللؤلؤ في ظن القدماء.
- (١٤٦) متصل بالبيت الذي قبله، أي انشف الماء بشعاع الصبح.
- (١٤٧) الأوصاف في هذا البيت وما بعده أوصاف الحياة.
- (١٤٨) نار الحياة تخفي حرها، وتظهر أعراضها في مظاهرها، ومثل الشاعر بأزهار الشقيق التي جعلها الشعراء مثلاً للالتهاب.
- (١٤٩) الحياة حركة دائمة يتوهمها الإنسان ثابتة، يقول إقبال: الفكر العاجز عن إدراك الحياة يرى جسمًا يسميه وردًا، وليس هو في الحق إلا لونهاً في طيران مستمر.
- (١٥٠) الطير: الطيران، والحياة طيران ولون طائر، لا ثبات لها ولا تستقر في عش.
- (١٥١) الحياة مقيدة بأشكال وهي في الحقيقة لا تحويها هذه الأشكال، ونوحها وغناؤها متصلان.
- (١٥٢) تضع نفسها في الطين — تزرع وتغرس — لا لتسكن فيه بل تزيد إسراعاً في سيرها.
- (١٥٣) الحياة تلبس الطين فتراها حيواناً له عين إلخ.
- (١٥٤) العم: الجماعة الكثيرة.
- (١٥٥) تولد الأمة حين تجمع الحياة في مركز معين في شريعة أو قانون أو مقصد.
- (١٥٦) الخليل إبراهيم، نحن الدليل على صدق ما يدعي للحرم من أنه يجمع الناس، ويكون مركز الأمة، ونحن برهان على تحقيق ما أمله الخليل في الحرم.
- (١٥٧) في حساب الحرم كثرتنا وحدة، وبهذه الوحدة تستحكم قوتنا.
- (١٥٨) حذفت هنا أبيات في وصف اليهود.
- (١٥٩) السجود الأولى جمع ساجد.
- (١٦٠) المطلع هنا مطلع القصيدة.
- (١٦١) اعتقد المال: اقتناه، إذا عرف الإنسان مقصده نقد به الأشياء فرد بعضها وأخذ بعضها.
- (١٦٢) يذكر أمثلة من المقاصد: الساحل للسائر في البحر، والمنزل للسائر في البر، والاحتراق للفراش، وليلى لقيس.
- (١٦٣) يتبين للعمل كيفه وكمه من مقصوده.

(١٦٤) الشقر: الشقائق؛ والضمير يعود إلى المقصود الحياة تستعريه، وتجمع في نفسها نارًا كما تجمع الشقائق النار، في خيال الشعراء.

(١٦٥) يجمع الأعين المختلفة على نظر واحد.

(١٦٦) القمي: ملك القمي الشاعر، والإشارة إلى بيت له معناه. «ذهبت لأنقش الشوك من قدمي فاخترقي الحمل عن عيني، غفلت لحظة فبعدت طريقي مائة سنة».

(١٦٧) امتزاج الأمهات اختلاط العناصر، والتركيب بلفظه العربي في الأصل.

(١٦٨) هذا البيت والذي قبله بيت واحد في الأصل، والمعنى: أن التكمل في العالم شاق أليم، ينبت غابات من أجل نعمة ناي، ويخرب روضات من أجل زهرة، وقد تقدم هذا أول الكتاب.

(١٦٩) تعالى: تتعالى.

(١٧٠) السنبل: نبت طيب الرائحة.

(١٧١) فيها: في الدنيا.

(١٧٢) إشارة إلى الآية: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾.

(١٧٣) إشارة إلى الآيات: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾.

(١٧٤) يعبد الناس في هذا العصر عصبية الأنساب والأوطان فيسفكون الدماء.

(١٧٥) إشارة إلى الآية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾.

(١٧٦) في الأبيات المتقدمة دعوة إلى تسخير عالم الحس، وبيان أن هذا التسخير

يؤدي إلى معرفة عالم الغيب.

(١٧٧) يعني: أن الإنسان خليفة الله في الأرض بالحق، وحكمه فيها نافذ.

(١٧٨) استخرج الكهرباء من سيل الماء.

(١٧٩) إشارة إلى الآية: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

(١٨٠) إشارة إلى آلات البرق، والهاتف ونحوها.

(١٨١) إشارة إلى الآية: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾.

(١٨٢) كالصقر الصغير الذي يعلم الصيد، يتلطف صاحبه في إطلاقه وراء الصيد

ودعوته إلى الرجوع.

(١٨٣) ثم يعلق التفكير به فيرمي فكره بشرر، كما تدار جمرة النار في خدروف

فيتطاير منها الشرر، وفي الأصل «زرجك» وهي لعبة يديرها الصبيان، يتطاير منها الشرر، والخدروف قرص يدار بخيط فيسمع له دوي.

- (١٨٤) يدرك الطفل نفسه فيعني بها، ويقول: ها أنا، وكان يرى غيره لا نفسه.
- (١٨٥) يرمي ويكري يزيد وينقص، يشعر الإنسان بأنه مع تغير جسمه لا تتغير ذاته.
- (١٨٦) هي في الكون كإنسان العين يرى كل شيء إلا نفسه، فهي تقلد وتتبع ولا تعتمد على نفسها.
- (١٨٧) تكون كالذي معه خيط معقد يحل عقده حتى يجد طرف الخيط فيمكنه الانتفاع به.
- (١٨٨) راز الإنسان الشيء حاول رفعه ليعرف ثقله.
- (١٨٩) الخِيط: الإبرة.
- (١٩٠) المهار: الزمام.
- (١٩١) إكبار الرجل المرأة وحبها يدعوانه إلى الإقدام والعمل، وكذلك تهديه المرأة وتلهمه.
- (١٩٢) إشارة إلى الأثر: حُب إلي من دنياكم ثلاث: الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة.
- (١٩٣) المقدار هنا القدر، أي مستقبل الناس مكتوب في سيما الأم.
- (١٩٤) كهام المقول: عيبة اللسان، عينها خفرة ولسانها قليل الكلام.
- (١٩٥) تعاني الظلام في أيامها ليشرق صبحنا، أي: نسعد بشقائقها.
- (١٩٦) صدفت عن الحمل والوضع.
- (١٩٧) لم يضىء في ليلها نجم: لم يولد لها ولد.
- (١٩٨) أباع: عرض للبيع، أي عرضت درعها للبيع لتعطي سائلا.
- (١٩٩) الأسير في أغلال هذا العصر يظن نفسه حرًا، والميت يحسب رمسه قصرًا، لا يدري هذا أو ذاك ما هو فيه من عبودية أو هلاك.
- (٢٠٠) إشارة إلى الحديث: «أمن الناس على صحبته وماله أبو بكر».
- (٢٠١) كان ثاني الرسول في الدخول في الإسلام وفي الغار، وفي القبر إذا كان أول من دفن بجانبه.
- (٢٠٢) إن أخلص الإنسان لله وتوكل عليه لا يقيد ما يقيد الناس من أسباب بل يخلق هو وسائله إلى غايته وليست الحياة دورات آلية بل فيها إرادة الإنسان وعزيمته.
- (٢٠٣) مرحب: أحد رؤساء اليهود في خير، قتله علي — رضي الله عنه — تقيل حيدرًا: تشبه بعلي.

(٢٠٤) إشارة إلى ما يروى عن عمر — رضي الله عنه: «أقلل من الدنيا تعش حرًا».

(٢٠٥) الضمير يرجع إلى الدنيا.

(٢٠٦) أبو علي قلندر أحد كبار الصوفية في الهند وتقدم ذكره وما بين القوسين

شعره.

(٢٠٧) نقفور أحد ملوك البيزنطيين حاربه الرشيد فهزمه.

(٢٠٨) اليمن من مواطن العقيق، يعني: لماذا يبقى مالك في الحجاز كما يبقى

العقيق في معدنه.

(٢٠٩) في الأصل: أنا حي بتقبيل تراب المدينة، وقد خفقت العبارة في الترجمة.

(٢١٠) هل أنت أيها المسلم كما عهدتك، أم أنت إنسان آخر.

(٢١١) السرو: شجر طويل شكله كالسنبله دائم الخضرة، جميل التمايل، يقول

الشاعر: إن طيرنا لا يستطيع الغناء كالطير، وسرونا ليس له رواء كالسرو.

(٢١٢) إشارة إلى الآية: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾.

(٢١٣) لو عاد الرسول ﷺ لميز الصادق والكاذب، وعرف شمع الفراش الذي

يهفو إليه حبًا.

(٢١٤) هنا يقول الشاعر: لا تكن فراشًا يهفو على نار غيره، بل اصطل نارك إن

تكن في قلبك نار.

(٢١٥) مذهب إقبال أن يثبت الإنسان في نفسه، يبعد السير، ولكن لا يخرج من

منهاجه، فليكن كالبحر يتقلب في العالم وهو مكانه، وكالطائر يحلق في الجو ولا ينسى

عشه، يعني: أن يكون في فكره وعمله صادرًا عن عقيدته وإحساسه هو.

(٢١٦) حياة الفرد أن يعرف نفسه ويعتد بها، وحياة الجماعة أن تعتمد على

نفسها وتصدف عن غيرها.

(٢١٧) يروى أن سلمان الفارسي — رضي الله عنه — سئل عن نسبه؛ فقال: سلمان

ابن الإسلام.

(٢١٨) يقصد الشاعر من هذه القصة أن ابن مسعود بكى أخاه لما جمعهما من

صلة بالنبي لا من صلة النسب.

(٢١٩) البيت لجلال الدين الرومي.

(٢٢٠) القرآن: القرآن.

(٢٢١) الفقر عند إقبال — كما هو عند الصوفية: ألا يستغني الإنسان إلا بالله،

انظر مقدمة «ضرب الكليم».

(٢٢٢) يعني: أن الكائنات قبلك كانت في ظلام وفاقة وحاجة إلى من يبعث فيها الحياة والقوة.

(٢٢٣) المسلم صار بيت أوثان بما في نفسه من أهواء، وعبادة للكبراء.

(٢٢٤) سمنا: بيت أصنام معروف في الهند، أخربه السلطان محمود الغزنوي، ويعيد الهناك بناءه اليوم.

(٢٢٥) الآية: شعاع الشمس.

(٢٢٦) القانون: آلة موسيقية، وفي الكلام تورية بالقانون الذي معناه الشرع.

(٢٢٧) الأبوصيري: الشاعر ناظم البردة، وعود سليمي: يراد به قوة العرب في الأدب والغناء.

(٢٢٨) اهد من ادعى أن فلسفتي مأخوذة من الفرنج لأنه يجهل ما في دينه من قوانين.

(٢٢٩) صار إسكاره أشد كالخمر المعتقد.

(٢٣٠) الأزري: المنسوب إلى آزر ناحت الأصنام، وهذا العقل الوثني نقش في روحه نقشاً عجيباً.

(٢٣١) الحكمة: الفلسفة.

(٢٣٢) هذا الأمل الذي كرر ذكره وأطال في وصفه تحول دمعاً سجم من عينيه، ونغما رن في قلبه.

(٢٣٣) كرر إقبال هذا الرجاء في شعره، قبل وفاته بثلاثين سنة إلى أن توفي، وروى الأستاذ يوسف جشتي شارح دواوينه: أن أحد أصحاب إقبال دخل عليه في يناير سنة ١٩٣٨ — أي قبل وفاته بثلاثة أشهر — وأخبره أنه عزم على الحج، وسأله أن يدعو الله لي قبل حجته، فبكى إقبال بكاءً شديداً وقال: بل اسأل الله أن ييسر لي زيارة روضة الحبيب ﷺ.

(٢٣٤) يعني: أن بلاد الهند يسيطر عليها الإنكليز وليست بلاداً إسلامية خالصة، فهي ليست جديرة أن يعيش فيها المسلم أو يعبر فيها.

(٢٣٥) هذا البيت أحسبه مقتبساً من جلال الدين الرومي، والسكن هنا من يسكن إليه الإنسان ويطمئن.

